بسم الله الرحمن الرحيم

وبشر الصابرين

الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون

صدق الله العظيم

نتقدم بأحرى آيات التعازي

إلى مقام خادم الحرمين الشريفين

الملك عبدالله بن عبدالعزيز آل سعود

وإلى الأسرة المالكة الكريمة والشعب السعودي

في وفاة

صاحب السمو الملكي

الأمير نايف بن عبدالعزيز آل سعود

ولي العهد نائب مجلس الوزراء وزير الداخلية

سائلين المولى عز وجل أن يتغمده بواسع رحمتة ومغفرته

وإن يسكنه فسيح جناته، وأن يجزيه خير الجزاء لما قدمه لدينه ووطنه

رئيس الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة

الدكتور عبدالله بن عبدالمحسن التركي

والأمين العام للهيئة

الدكتور عبدالله بن عبدالعزيز المصلح

الخطـــاب الأمثـــــل للدعــــوة إلى اللــــه ســـبحانه وتعــــالى



أ.د. عبدالله المصلح

الأمين العام للهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القران والسنة

الحمدلله رب العالمين الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة، والصلاة والسلام على خاتم المرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد.. فإن رسالة الإسلام خاتمة الرسالات الإلهية رسالة شاملة في مقاصدها،عامة للناس في هذا الكون لقوله سبحانه مخاطبا نبيه: ﴿قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا﴾ وقوله سبحانه: ﴿وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا﴾

إن هذا الشمول يمتد عبر الزمان والمكان ليشمل جميع الناس إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، ولذا اقتضى الأمر أن تخاطب هذه الرسالة،العقول والقلوب في سياق من الإعجاز الذي تتناسب صوره مع تطور الفكر الإنساني، ومع اتساع العلوم الكونية المختلفة وتطورها.

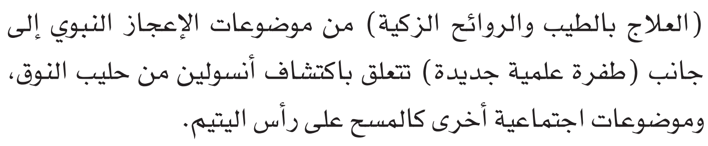
إن القرآن الكريم يزخر بالعديد من الآيات التي تشير إلى الكون وما فيه من كائنات ـ جمادات وأحياء ـ وإلى صور نشأتها ومراحل تكوينها،وإلى العديد من المظاهر الكونية المصاحبة لها، وقد أحصى بعض الباحثين من مثل هذه الآيات أكثر من ألف آية صريحة،بالإضافة إلى آيات أخرى عديدة تقرب دلالاتها من الصراحة، مما يصل بعدد الآيات الكونية إلى سدس مجموع آيات القرآن الكريم تقريبا.

ويرى العلماء المهتمون بالإعجاز العلمي أن له دورا عظيما في الدعوة إلى الله من خلال إظهار الإشارات القرآنية إلى الكون التي تبقى بيانا من الله،خالق الكون ومبدع الوجود،ومن ثم فهي حق مطلق. ولا غرابة إذن من انسجامها مع قوانين الله وسننه في الأنفس والآفاق، ومع معطيات العلوم الحديثة عن حقائق هذا الوجود. كذلك فإنهم يرون أنه مع التسليم بأن تلك الإشارات لم ترد في القرآن الكريم بهدف الكشف المباشر للحقيقة العلمية،لأن الحكمة الإلهية قد اقتضت ترك ذلك لاجتهاد الإنسان على مر الزمن، إلا أنها تتميز بالدقة المتناهية في التعبير، والإحاطة في الدلالة، والشمول في المعنى، بحيث يدرك فيها أفراد كل جيل ما يتناسب مع مستوياتهم الثقافية، وما وصلوا إليه من علوم،ثم إن تلك الدلالات تتميز كلها بالسبق إلى الحقيقة الكونية قبل أن تدرك الكشوف العلمية شيئا منها بقرون طويلة، وهذا في حد ذاته يمثل الإعجاز العلمي للقرآن الكريم، الذي هو أحد أوجه الإعجاز العديدة في كتاب الله. خاصة وأن القرآن الكريم قد تم إنزاله منذ ما يربو على ألف وأربعمائة سنة على نبي أمي ﷺ وفي أمة كانت غالبيتها الساحقة من الأميين،وفي ذلك يقول هذا الكتاب العزيز عن رب العالمين ﴿هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين﴾، ولذلك يبقى الإعجاز العلمي في كتاب الله من أنسب وسائل الدعوة إلى دين الله، هذا العصر الذي يوصف بأنه عصر التقدم العلمي والتقني تثبيتا لإيمان المؤمنين، ودعوة للجاحدين من مختلف صنوف المشركين والكافرين والضالين، في عالم أصبح بمثابة قرية كبيرة؛ لأن ما يحدث في أحد أركانها يتردد صداه في بقية أرجائها في وقت قياسي مما كان مستحيلا فيما سبق، ولا يأمن أهل الحق أن يصيبهم ما أصاب الأمم الضالة من عقاب،أو أن يجرفهم تيار الحضارة المادية فيذيبهم في بوتقتها، وبذلك يخسرون الدنيا والآخرة. وطوق النجاة في الحالتين يتمثل في الاعتزاز بالإسلام العظيم، والتمسك بالقرآن الكريم الذي فيه الهداية للتي هي أقوم، كما أن إعجازه العلمي يتجلى في عصر العلم الذي نعيشه يوما بعد يوم، وجيلا بعد جيل حتى يرث الله الأرض ومن عليها. وفي ذلك يقول المصطفى ﷺ ما من الأنبياء نبي إلا أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيته وحيا أوحاه الله إلي، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة (البخاري ومسلم)



مجلة فصلية تصدر عن الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسُّنَّة
(العدد الحادي والأربعين) شعبان ١٤٣٣هـ

كلمة **التحرير**



يصدر هذا العدد من مجلة الإعجاز العلمي وقد تضمن العديد من الموضوعات العلمية المتنوعة، ومن أبرزها موضوع (القلب بين القرآن والطب) الذي تتم مناقشته لأول مرة من الناحيتين الشرعية والعلمية، وفق ما استجد من نتائج البحث العلمي، كما تضمن العدد (العلاج بالطيب والروائح الزكية) من موضوعات الإعجاز النبوي إلى جانب (طفرة علمية جديدة) تتعلق باكتشاف أنسولين من حليب النوق، وموضوعات اجتماعية أخرى كالمسح على رأس اليتيم.

ولا تزال المجلة تنتظر من الباحثين والمهتمين تزويدها بالجديد المفيد من الأبحاث العلمية، وليعذرنا الباحثون الذين لم تنشر أبحاثهم لأن الأمر يحتاج إلى المزيد من التدقيق الشرعي والعلمي.

رئيس التحرير

طريقة الاشتراك في المجلة

- قيمة الاشتراك السنوي لأربعة أعداد من المجلة (٥٠) ريالاً سعودياً.
- تدفع القيمة باسم مجلة الإعجاز العلمي لدى البنك الأهلي التجاري حساب رقم (SA7510000000155055000109)
- ترسل صورة من وصل الإيداع على الفاكس رقم ٦٨٣٠٣٢٨ أو إرسالها عن طريق البريد: سعادة رئيس التحرير مجلة الإعجاز العلمي ص.ب ٢٨٠٠٨ جدة: ٩٨٥١٢
- تعبئة البيانات الشخصية: الاسم الثلاثي، العنوان البريدي، رقم الهاتف أو الجوال، ورقم الفاكس إن وجد.
- خارج المملكة العربية السعودية: ترسل حوالة بنكية بالقيمة باسم مجلة الإعجاز العلمي على أحد البنوك الموجودة بالمملكة، أو الاتصال بموزع المجلة داخل البلد. بالقاهرة الاتصال بمكتب هيئة الإعجاز العلمي بالقاهرة هاتف: ٢٢٧١١١٣٥



جميع المراسلات باسم رئيس التحرير
skarim@kau.edu.sa
جدة - المملكة العربية السعودية ص.ب: ١١٢٨٣٣
الرمز البريدي ٢١٣٧١ تليفون موحد: ٩٢٠٠١٠٠٩٧
موقع الهيئة على الإنترنت: www.eajaz.org

وكلاء التوزيع: الشركة السعودية للتوزيع

طبعت بمطابع مؤسسة المدينة للصحافة (دار العلم)

التصميم والإخراج
خالد إبراهيم المصري

الأسعار:
السعودية ١٠ ريالات. الكويت ١ دينار. الإمارات ١٠ درهم. البحرين ١ دينار. قطر ١٠ ريالات. عمان ١ ريال. اليمن ١٥٠ ريال. مصر ٥ جنيهات. الأردن ١ دينار. سوريا ٥٠ ليرة. المغرب والجزائر وتونس (ما يعادل ١ دولار). أمريكا وأوروبا ما يعادل ٣ دولار.

الاشتراكات:
السعودية ٥٠ ريال للأفراد، ٨٠ ريال للمؤسسات. دول الخليج ٦٠ ريال سعودي، ١٠٠ ريال سعودي للمؤسسات. بقية الدول الإسلامية ٥٠ ريال سعودي للأفراد، ٧٥ ريال سعودي للمؤسسات. أمريكا وأوروبا ما يعادل ٢٠ دولار للأفراد، ٣٠ دولار للمؤسسات.

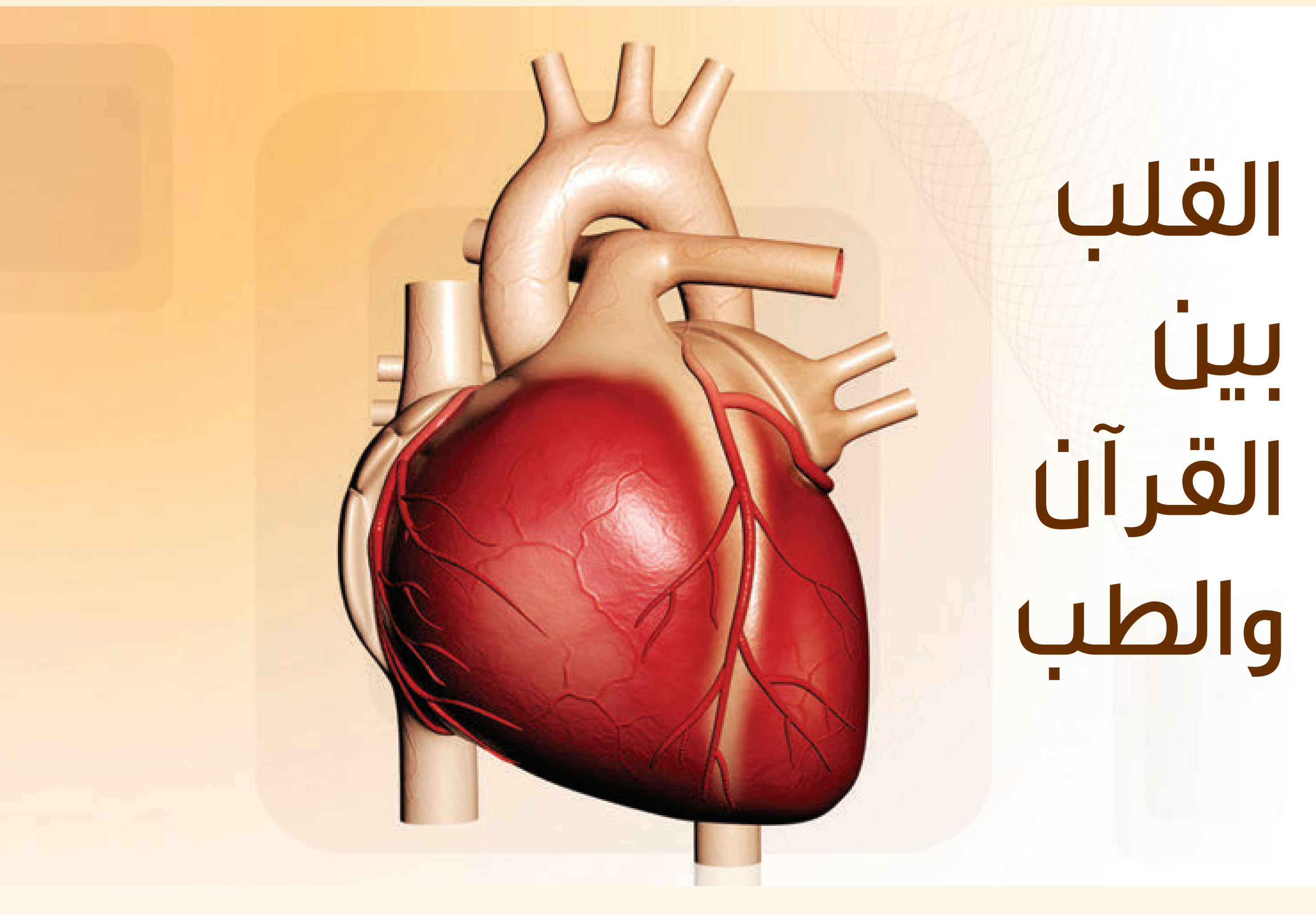
في هذا العدد

منتجات شهية...ذات قيمة حقيقية



أووو ... مـا أطيب قـودي

القلب بين القرآن والطب



أ.د. فؤاد يحيى أحمد *

لقد أولى القرآن الكريم القلب المكانة الأكبر من بين أعضاء جسم الإنسان التي ذكرت في آيات الذكر الحكيم (حوالي ٧٠ عضواً). فهو أول عضو جاء ذكره، وهو أكثرها تكراراً ضمن آياته (١٣١ مرة)، وسنرى أن هذا ليس من قبيل المصادفة!؟. بل من المثير للدهشة والتساؤل أن كل الآيات التي ذكر فيها القلب جاء ذلك بوصفه عضوا تناط به وظائف معرفية، مثل التدبر والتفقه والتعقل والتذكر!، أو وظائف مشاعرية، مثل الرأفة والرحمة والقسوة والغلظة، وصولاً إلى الوظائف الروحية، مثل الإيمان والتقوى والهداية والزيغ، وكل هذه الوظائف بعيدة كل البعد عن المعروف لدينا طبياً؛ كمضخة عضلية قوية تضخ الدم ليل نهار، من هنا كان السؤال الجوهري والمنطقي الذي هو محور هذا البحث، وتمثل الإجابة عليه الهدف من هذا البحث: (هل وظائف وصفات القلب التي ذكرت في الآيات القرآنية حقائق طبية أم أنها مجرد ألفاظ مجازية استعملت في غير ما وضعت لمناسبة بينها وبين المعنى اللازم المنشور؟)

* استاذ التشريح بطب عين شمس

٤٠ ألف خلية عصبية داخل قلب الإنسان

للإجابة على هذا السؤال سوف نبدأ بذكر أمثلة من الآيات الكريمة الدالة على هذه الوظائف والصفات القلبية، ثم ننتقل إلى الآليات الطبية التي يمكن أن تفسر هذه الوظائف.

وظائف معرفية :

﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ (محمد: ٢٤).

﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَا أُوْلَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ (الأعراف: ١٧٩).

﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ (الحج: ٤٦).

وظائف مشاعرية :

﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاء رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ (الحديد: ٢٧).

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّمَن فِي أَيْدِيكُم مِّنَ الأَسْرَى إِن يَعْلَمِ اللّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّا أُخِذَ مِنكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (الأنفال: ٧٠).

﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّن بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاء وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللّهِ وَمَا اللّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ (البقرة: ٧٤).

﴿وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللّهُ عَلَى مَن يَشَاء وَاللّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ (التوبة: ١٥).

وظائف روحية :

﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُوْلَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ﴾ (الحجرات: ٧).

﴿ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ (الحج: ٣٢).

﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (التغابن: ١١).

﴿رَبَّنَا لاَ تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ﴾ (آل عمران: ٨).

ونلاحظ هنا ناحيتين هما :

الآليات البيولوجية (الطبية) التي يمكن أن تفسر قيام القلب بهذه الوظائف.

الآلية الذاتية وهي عبارة عن الشبكة العصبية للقلب ويطلق عليها (مخ القلب)! ولبيان ذلك نبدأ كلامنا عن قضية مثيرة هي:

مخ القلب ! Heart Brain

بالرغم من أن دراسة تشريح الجهاز العصبي اللاإرادي المغذى للقلب أخذت اهتماماً كبيراً طيلة عقود القرن العشرين، وأن دراسة الشبكة العصبية الداخلية للقلب في الثديات قد بدأت في النصف الثاني من القرن نفسه. إلا أن دراسة هذه الشبكة العصبية في قلب الإنسان لم تكتشف إلا في عام ١٩٩١م، وذلك يرجع لصعوبة أخذ العينات الآدمية وكذا وجود هذه الخلايا العصبية في الدهن المُغَلف للقلب مما يصعب من رؤيتها هيستولوجياً لدى قيام العالم (أرمور) وزملائه في كندا ببحث مثير على قلوب أموات حديثي الوفاة، تم حفظها في محلول دهنت وعمل الشرائح النسيجية بصباغات خاصة خلال ساعتين على الأكثر. وقد قاموا بفحص الشرائح بالميكروسكوب الضوئي والإلكتروني وعمل صور ثلاثية الأبعاد باستعمال الكمبيوتر، مما مكنهم من الحصول على نتائج مدهشة نوجزها فيما يلي:

تتكون هذه الشبكة العصبية من مجموعة من العقد (ganglia) توجد أساسا في الطبقة السطحية للقلب وبنسبة أقل في

الدهن المغلف للقلب وتكون كل عقدة من خلايا هذه الشبكة العصبية (Neurons) تشبه مثيلاتها في المخ تماماً، ويخرج منها ألياف عصبية تتصل بدورها بالخلايا الأخرى عن طريق تشابكات عصبية (SYNAPSES) وتختلف حجم هذه العقد بدرجة كبيرة بدءاً من تلك التي تحوى عدة خلايا عصبية (أقل من ٥) إلى أن تصل في بعض الأماكن إلى ٢٠٠ خلية. وتتركز معظم العقد في الأذينين حيث يصل عددها إلى حوالي ٥٠٠ وعدد أقل في البطينين حوالي ١٠٠، أي أن حوالي ٨٠٪ منها يقع في الأذينين (وخاصة الجزء العلوي والجدار الخلفي منهما) وقدرت عدد الخلايا العصبية في بحث أمور السابق بـ ١٤,٠٠٠ خلية. في حين قدرها ماك كريتى وزملائه فيما بعد (بمعهد .I.H.M) بكاليفورنيا بـ ٤٠,٠٠٠ خلية عصبية داخل القلب!. وقد أظهرت التجمعات تنوعاً كبيراً في الشكل والحجم من شخص لآخر بل ومن تجمع لآخر!؟. وقد شوهد عدد من المحاور العصبية (Axons) التي تصل هذه التجمعات بعضها ببعض مكونة عددا من الدوائر العصبية المعقدة (Circuits) والتي يصل قطرها إلى ١ سم وتشبه مثيلاتها بالمخ تماماً!

وقد أظهر حجم الخلايا العصبية تفاوتاً واضحاً (متوسط ٣٤ ميكرون) وكذا في عدد الزوائد المتفرعة من جسم الخلية (محور وشجيرات) وقد تبين أن معظم هذه الخلايا متعددة الأقطاب أي لها أكثر من شجيرتين (multipolar) مما يزيد من مدى التعقيد في الاتصالات (Synapses) بين الخلايا والدوائر العصبية للقلب، بالإضافة إلى وجود عدد

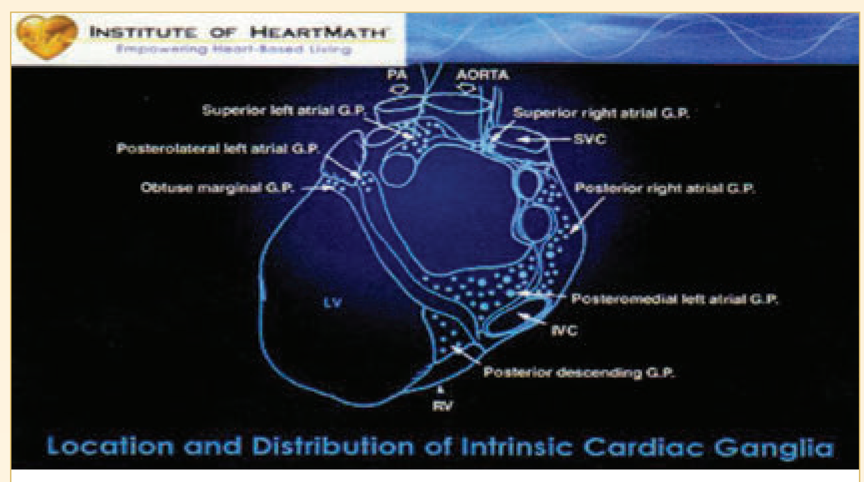


Fig (1): The Ganglia of the Cardiac plexus are shown as small white dots, mainly in the region of the atria.

العقد العصبية القلبية

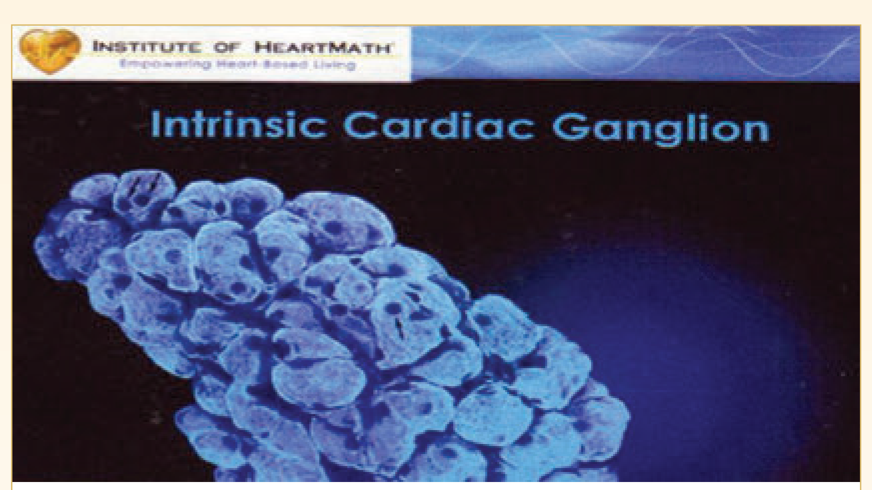


Fig (2): Cone focal microscopy of Cardiac Ganglion, magnified from the white dots as per Fig (1).

العقد العصبية القلبية

أقل من ذوات المحور الواحد أو الاثنين. وقد أظهر الفحص بالميكروسكوب الإلكتروني أن غالبية هذه الخلايا تشبه خلايا الجهاز العصبي اللاإرادي وتتصل به، حيث توجد بها نواة طرفية وعدد كبير من العضيات (ORGANELLES) داخل السيتوبلازم مما يدل على أنها خلية نشيطة من ناحية التمثيل الغذائي. أي أنها تقوم بوظائف عصبية كثيرة ومعقدة. ومن الجدير بالذكر أن الخلايا الداعمة للجهاز العصبي (glial cells) وجد مثيل لها أيضاً في هذه الشبكة العصبية

للقلب. ومن المدهش أن جميع الوصلات العصبية كانت بين محور خلية وشجيرة خلية أخرى (وليس مع جسم الخلية الأخرى) وكان هذا هو الاختلاف الوحيد مع الجهاز العصبي المركزي. ويتيح هذا التمحور السابق عددا أكبر من التشابكات بين الخلايا وزيادة عدد الدوائر العصبية؛ حيث أن كل خلية لها عدد من المحاور وعدد من الشجيرات. وقد وجد أيضاً عند التشابكات انتفاخات مليئة بنفس المواد الكيميائية (النواقل العصبية) الموجودة في المخ، وعلى وجه الخصوص وجدت

القلب من أكثر أعضاء الإنسان ذكرا في القرآن الكريم

وفرة من الحبيبات الصفراء اللون داخل الخلية تسمى ليبوفوشين ومن المعروف أنها تميز الخلايا ذات التمثيل الغذائي النشيط والتي توجد في الأنسجة التي تعمل عمليات معقدة لفترات طويلة مثل خلايا المخ والعضلات والكبد وخلافه، مما يدل على النشاط الكبير لهذه الخلايا.

مما سبق من تحورات تشريحية ونسيجية يمكن الظن بأن العمليات التي تقوم بها هذه الشبكة قد تكون أكثر تعقيدا من مثيلتها بالمخ، بالرغم من أن عدد الخلايا أقل بالمقارنة بتلك الموجودة بالمخ (١٠ مليار بالمخ). ومن المهم هنا التفرقة بين هذه الخلايا العصبية وبين الخلايا المسئولة عن خروج وتوصيل النبضة الكهربائية للقلب وهي خلايا عضلية خاصة Modified Myocytes. وتشكل هذه الخلايا سلسلة أو جهاز توصيل Conductive system يوزع النبضة الكهربائية إلى باقي عضلة القلب أي يجب أن يكون واضحاً أنها لا تمت للجهاز العصبي للقلب بصلة.

وقد أثبتت التجارب بأن توزيع هذه الشبكة العصبية لقلب الإنسان تشبه إلى حد كبير مثيلتها الموجودة في الثدييات ولكن تفوقها في الغزارة والتعقيد. وفي أحد هذه التجارب (يوان وزملائه) ثبت أن عدد الخلايا العصبية في القوارض نصف عددها في الإنسان. ونلاحظ من السابق أيضاً أن النظرة التقليدية للأذينين أن لا وظيفة لهما إلا استقبال الدم العائد من الجسم أو الرئة ولا يوجد لهم دور حتى في دفع الدم لقلة الخلايا العضلية بهما. هذه

النظرة قد تغيرت تماماً بعد هذه الأبحاث الأخيرة واتضح أن الأذينين يمثلان أكثر من ٨٠٪ من الجهاز العصبي للقلب ومن المدهش أن هذه الشبكة العصبية داخل القلب بلغت من التعقيد بحيث أن كثيرا من العلماء قالوا إنها قادرة على التفكير والإحساس والتذكر لدرجة أن العالم Armour سنة ١٩٩١ أول من أطلق عليها المصطلح Heart Brain أي (مخ القلب) وقد ذاع صيت هذا المفهوم كثيراً بعد أن أصدر كتاباً بهذا الاسم. وإمعانا في الدقة أفضل نقل مما جاء في منشورات معهد رياضيات القلب I.H.M. نصاً في هذا الشأن.

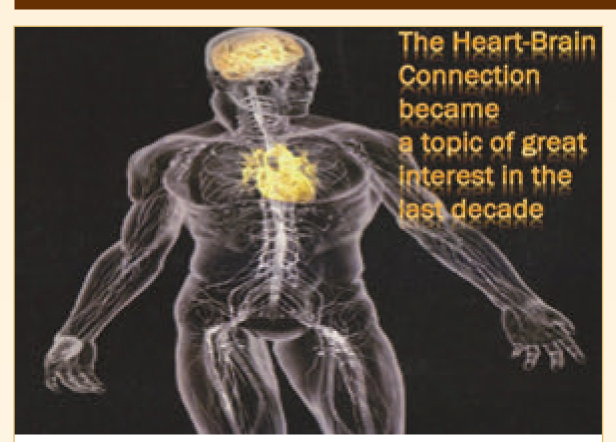


Fig (3): Vagus Nerve (purple) termination in the brain showing the nervous communication with the heart
العصب الحائر بالدماغ واتصاله بالأعصاب القلبية

“The Neurocardiologist Dr. J.A. Armour in 1991, introduced the concept of a functional “heart brain”, his work revealed that the heart has a complex intrinsic nervous system that is sufficiently sophisticated to qualify as a “little brain” in its own right. This plexus includes neuronal circuits that enables it to act independently of the cranial brain- to learn, remember, and even feel and sense. It includes 40.000 neurons which detect circulating hormones and neurochemicals and can sense heart rate, and pressure information. These signals are transmitted to the different parts of the brain starting by the medulla to regulate the vital centers, that occur through the afferent autonomic impulses”

من كل ما سبق يمكن أن نتبين مدى الإعجاز العلمي للقرآن الكريم فيما يتعلق بالآيات التي جاء فيها ذكر القلب، وهو أكثر أعضاء جسم الإنسان ذكراً (١٣١ مرة)! وقد ذكرت فيها كل الوظائف التي بدأ اكتشافها قريبا. وكما سبق أن أشرنا أعلاه فهي وظائف مشاعرية مثل الرحمة والقسوة أو معرفية مثل التدبر والتعقل أو إيمانية مثل الهداية والتقوى! فتبارك الله أحسن الخالقين، خالق كل شيء وهو على كل شيء قدير. وصدق الله العظيم القائل ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ (فصلت: ٥٣)، وإتماما للفائدة نذكر ما قد ورد بصدد العلاقة بين المخ والقلب

وهي كما يأتي: أربعة آليات للتواصل بين القلب والمخ (شكل: ٣).

الآلية العصبية:

تقتصر المعلومات الطبية المتعلقة بالتغذية العصبية للقلب، والتي تدرس حتى يومنا هذا في علوم التشريح ووظائف الأعضاء، على أن الجهاز العصبي المركزي يرسل نوعين من الأعصاب غير إرادية إلى القلب.

١. العصب المتعاطف (Sympathetic) ويساعد في حالات الانفعال على إسراع النبض، ورفع ضغط الدم.
٢. العصب الجار متعاطف Parasympathetic وهو العصب العاشر الدماغي أو العصب الغامض (Vagus) ويعمل على إكساب الجسم حالة من السكينة والاطمئنان وذلك بخفض النبض وبالتالي ضغط الدم (أي عكس السابق).

من المثير للدهشة أنه في العقدين الأخيرين أظهرت الأبحاث مفهوماً جديداً وهو أن مخ القلب يرسل إلى مخ الدماغ إشارات كهربائية efferent أكثر (٨٠٪) مما يرسل المخ إلى القلب efferent (٢٠٪) وذلك من خلال العصب العاشر المخي!؟. وفي محاولة لفهم طبيعة الحوار بين القلب والمخ أجريت دراسات لتتبع أين تصل نهايات العصب العاشر بالمخ، وفيما يلي أهم هذه المناطق

١. منطقة فرس البحر (Hippocampus): بالفص الصدغي بالمخ وهي جزء من القشرة المخية المنوطة بعملية التعلم والتذكر والوعي. وبناء عليه يمكن القول بأن الحوار بين مخ القلب وبين هذا الجزء يدعم ويقوى الوظائف المعرفية ودرجة اليقظة للمخ!
٢. منطقة اللوزة (Amygdala): وهي جزء مهم من منظومة أجزاء تشكل ما يسمى بالجهاز الحافي للمخ (Limbic system) الذي تناط به المشاعر والأحاسيس، وهذا الجزء بالذات يختص بالغرائز والشهوات مثل شهوة البطن، الفرج، الدفاع عن النفس، والإدمان. ومن هنا يمكن القول أن الرسائل (الإيمانية) الصاعدة من القلب إلى هذا الجزء عن طريق العصب العاشر يمكن أن تلعب دوراً في وسطية واعتدال هذه الشهوات في إطار الحدود التي شرعها الله!. أي أنها تذكي النفس وتعقل الهوى وتهدئ المشاعر وتزيل الحزن، ومما يثبت ذلك ما قد حصل من اعتماد هيئة الغذاء والدواء الأمريكية (FDA) سنة ٢٠٠٥م طريقة جديدة لعلاج الاكتئاب المزمن، وهو عبارة عن إرسال نبضات كهرومغناطيسية من بطارية صغيرة تزرع بالصدر لإحداث تنشيط للإشارات الصاعدة من القلب خلال العصب العاشر إلى المخ، ويطلق عليه .VNS Therapy)
٣. نواة رافي (Raphe nucleus): وهي مركز عصبي يقع في أسفل جزع المخ وهو يعمل على إفراز مادة السيروتونين (Serotonin) وهي المسئولة عن إكساب الإنسان حالة السكينة والاطمئنان وتساعد على منع الألم والخلود إلى النوم، ومن هنا يمكن الزعم بأن تنشيط القلب لها يزكي هذه الوظائف أو الحالات!. (النفس) مما يمكن أن يفسر قوله تعالى: ﴿قد أفلح من زكّاها﴾ ويمكن القول أن (من) هنا تعود على القلب (العاقل) والله تعالى أعلم.

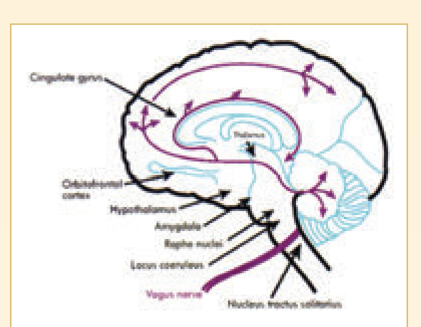


Fig (4): Vagus Nerve Stimulation (VNS) Therapy

٤. الناصية (Prefrontal area): وهي الجزء الأمامي من القشرة المخية المسئول عن تجميع المعلومات واتخاذ القرار (الآخذ بناصية الأمور!). ومن هنا فإن التشاور بينه وبين القلب هبوطاً وصعوداً يساعد على اتخاذ القرارات الصائبة مما يمكن أن يفسر قوله ﷺ استفت قلبك! أو اعقلها وتوكل، فالقلب هو الذي يعقل لا المخ! والله تعالى أعلم.

الآلية الهرمونية:

منذ اكتشاف أول هرمون يفرزه القلب سنة ١٩٨٣ والمسمى ANH يتوالى اكتشاف المزيد من الهرمونات القلبية حتى وصلت حوالي ستة. وتفرز جميعها من الخلايا العضلية للأذين (خاصة الأيمن) مباشرة إلى مجرى الدم بالداخل، وبذلك أصبح القلب بمثابة غدة صماء كبرى!. وقد تبين أن القلب يقوم على إفراز هرموني ANH، BNH في حالات التوتر وارتفاع ضغط الدم، وهما يعملان على زيادة إدرار الصوديوم والماء من الكلى

Fig (5): Origin of Cardiac hormones from the right atrium- myocytes

وتوسيع الشرايين المتوسطة وبالتالي على خفض ضغط الدم واكتساب حالة الطمأنينة والسكينة.

وقد أثبتت التجارب في معهد رياضيات القلب بكاليفورنيا (IHM) بأن الاسترخاء أو الصلاة الإسلامية تؤدي إلى خفض ضغط الدم وإزالة التوتر وهدوء القلب، مصداقاً لقوله تعالى:

﴿ألا بذكر الله تطمئن القلوب﴾!.

ويقوم هرمون ANH على زيادة إفراز هرمون آخر من الغدة الفوق كلوية يسمى DHEA، وهذا الأخير يحسّن من صحة الجسم كله بمعنى أنه يرفع مناعة الجسم للأمراض، يساعد على التئام الجروح والأنسجة، يزيد من إفراز الهرمونات الجنسية وصولاً إلى زيادة حدة الرؤية من العين!؟. وبناءًا على ما سبق وصف العالم Mc Craty (هرمون ANH على أنه) يضبط وظائف الجسم كلها!؟

يفرز القلب أيضاً هرمون دوبامين (Dopamine) وهو أحد الهرمونات العصبية التي تفرزها مراكز المخ المسئولة عن عملية التعلم والتذكر! مما يوضح قوله تعالى ﴿وَاتَّقُواْ اللّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللّهُ﴾. وقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ وكذا فإن هذا الهرمون يكسب الإنسان حالة من البهجة والانتعاش مما يوضح العلاقة بين الراحة النفسية وعملية التعلم والتذكر!؟

أيضاً هرمون الأوكسي توسين (Oxytocin) والذي يفرز أصلاً من المخ (بالغدة النخامية) والمدهش أنه يفرز من القلب بنفس النسبة التي يفرز بها من المخ بل إن القلب يتحكم في إفرازه من المخ ويطلق على هذا الهرمون بأنه هرمون المودة والرحمة والحب والروابط الاجتماعية (Love or bonding H.) حيث يصل إلى أعلى مستوياته في الدم في هذه الحالات.

هرمون النورأدرينالين (Noradrenalin) وهو الهرمون الوحيد الذي يفرزه القلب ليرفع الضغط ويزيد من حالة التوتر (حمية الجاهلية الأولى) أو في حالات الرعب ﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُواْ الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُواْ بِاللّهِ﴾.

بالرغم من هذا فإن له وظيفية دفاعية وعلاجية في حالات النزيف أو انخفاض ضغط الدم أو حالات الكر والفر والحروب.

كما يزداد إفرازه في حالات الرعب والفزع وكذا القلب القاسي والغليظ كما جاء بالآيات.

هرمون التوازن Balancing H. وهو كما يدل اسمه يوازن بين الرعب والسكينة وصولاً إلى الاطمئنان، وذلك بالتحكم في كمية إفراز هرمونات التوتر وخاصة التي تفرزها الغدة الجار كلوية سواء من قشرتها مثل الكورتيزونات أو من نخاعها مثل الأدرينالين والنور أدرينالين. من كل ما سبق يمكن الزعم بأن القلب (الأذين الأيمن) يعتبر من أهم إن لم يكن أهم غدة صماء بالجسم!؟. أو هو الغدة المايسترو لمعظم الغدد الأخرى خاصة الغدة النخامية والغدة الفوق كلوية ومن المهم الإشارة إلى أن أربعة من هذه الهرمونات تفرز أيضا من المخ!؟.

الآلية الدموية:

هذه الآلية هي الأقدم والأشهر، فمن المعروف أن الدم هو إكسير الحياة لكل خلية من خلايا الجسم بما يحمل من

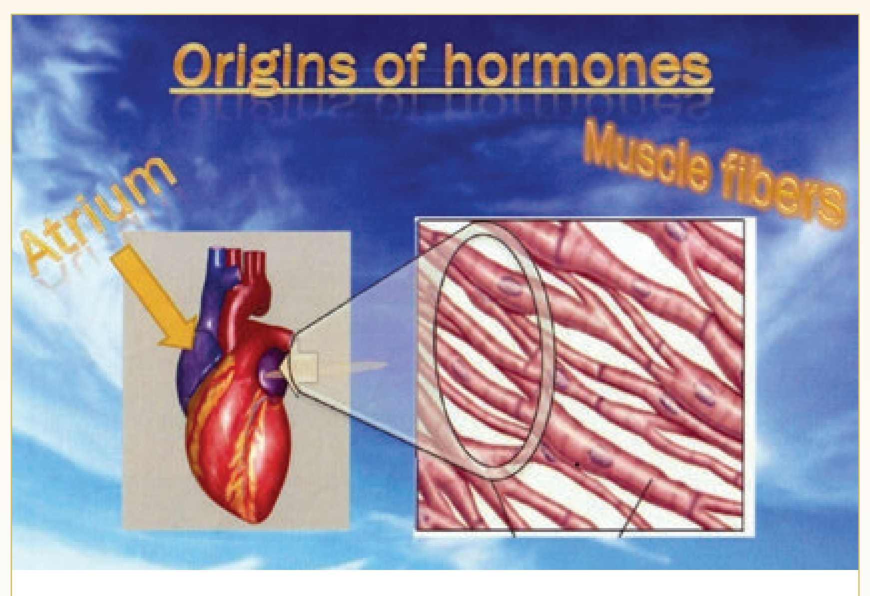
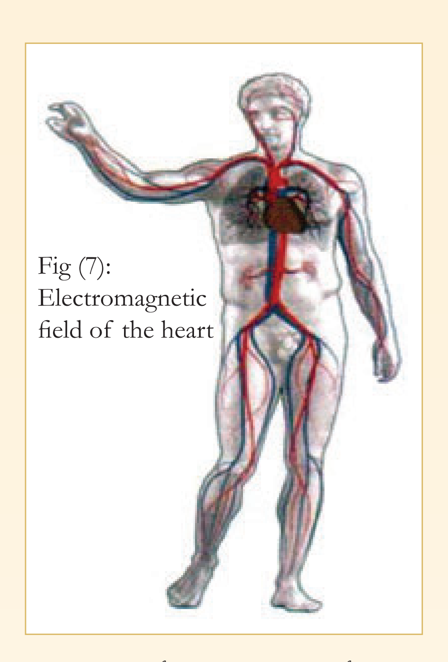


Fig (6): Heart-Brain Vascular communication — الشبكة الوعائية المخ قلبية


Fig (7): Electromagnetic field of the heart

غذاء وأكسجين (وقود) وأجسام مناعية وهرمونات.. إلخ. ولا يخفى علينا الدور الرئيسي للقلب في دفع الدم وسريانه، ومن الجدير بالملاحظة أن زمن النبضة الواحدة حوالي.. ثانية واحدة وزمن تبادل المكونات والغذاء بين الدم والخلايا عند مستوى الشعيرات الدموية هي أيضاً حوالي ثانية واحدة! ومن هنا يمكن القول بأن كل نبضة من القلب هي عبارة عن دفعة غذائية وميكانيكية ومناعية لكل خلية من خلايا الجسم وخاصة المخ الذي لا يستغني عن الأكسجين أكثر من ٥ ثوان. ومن الناحية الطبية فإن انقباض وانبساط عضلة القلب غير معروف مصدره حتى الآن ويوصف بأنه خاصية ذاتية للقلب (Endogenous)!. والدليل على ذلك أن القلب يستمر في الحركة حتى بعد فصله عن كل الأعصاب والأوعية الدموية (كما في عمليات القلب المفتوح). وبما أن الله هو (القابض) (الباسط) (وليس القلب!)، من هنا يمكن الزعم أن هذا هو السبب وراء عدم ذكر هذه الوظيفة العضلية في آيات الذكر الحكيم!؟ والله تعالى أعلم بالإضافة إلى أن القلب ليس العضو (العامل) الوحيد المسئول عن سريان الدم بالدورة الدموية.

الآلية الكهرومغناطيسية :

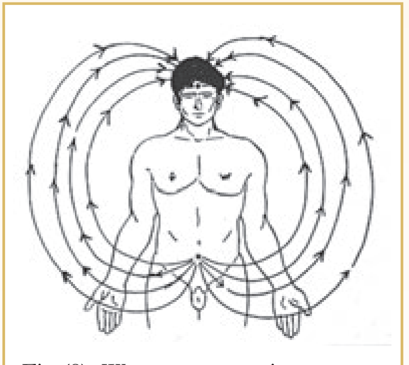
أثبتت الدراسات العلمية التي أجراها العالم Mc Craty وزملاؤه بمعهد رياضيات القلب IHM في كاليفورنيا أن قوة المجال الكهرومغناطيسي المنبعث من القلب تبلغ ٥٠٠٠ ضعف المجال المنبعث من المخ، ويمتد إلى مسافة ١٠ أقدام على شكل دائرة حول الجسم!. في حين أن المجال الكهربائي للقلب يبلغ ٦٠ ضعفاً عن مثيله بالمخ!. وبناءاً على قواعد علم الفيزياء يكون القلب هو العضو الذي له اليد العليا في السيطرة على باقي أعضاء جسم الإنسان كهرومغناطيسيا، وليس المخ كما هو معتقد (الشكل ٨)!. أُطلِق مفهوم (القلب المتناغم) (Coherent heart) لأول مرة بواسطة Mc Craty سنة ١٩٩٥، وهو القلب البعيد عن التوتر حيث تهدأ ضرباته إلى ٦٠ ضربة في الدقيقة، وتتميز بالانتظام (التماثل) في زمن كل نبضة، ويعتبر التعريف الأكثر شيوعاً لمفهوم القلب المتناغم هو حدوث حالة من التقارب (التوافق) بين الموجات الكهرومغناطيسية لأعضاء الجسم (خاصة المخ) مع موجات القلب المتناغم وبذلك نحصل على أفضل أداء جسماني وعقلي. وتعتبر عمليات التأمل أو الاسترخاء أو الصلوات من وسائل اكتساب حالة القلب المتناغم. ويمكن تمثيل القلب المتناغم (المتوافق) بمنظم الكهرباء المنزلي، فكما يحافظ الأخير على الأجهزة المنزلية يحافظ القلب على الأجهزة الجسمانية! لأن الكهرباء المنبعثة منه تكون منتظمة. وفي تجربة مثيرة

الأذين الأيمن يمثل أحد الغدد الصماء في الجسم

بمعهد IHM تبين عند تعريض شخص متوتر لأجواء استرخاء مثل الموسيقى والطبيعة الساحرة، تبدأ موجات القلب أولاً بالهدوء والانتظام تليها موجات المخ بعد بضعة دقائق (التناغم) وأثبتت ذلك باستعمال أجهزة الرسم الكهربائي للقلب والمخ، أي أن القلب هو الذي يقود والمخ يتبعه ومن هنا كان الإعجاز العلمي للآية ﴿ألا بذكر الله تطمئن القلوب﴾ (وليس العقول!). ويمكن الزعم بأن القلب المطمئن يعتبر المرادف القرآني لمفهوم القلب المتناغم.

العلاقة الحميمية في الحياة الجنينية!! :

يمكن الزعم بأن العلاقة التبادلية والتشاورية المستمرة بين القلب والمخ يمكن إرجاعها لعلاقة الجوار الجغرافي في بداية الحياة الجنينية، حيث تقع


Fig (8): Waves representing the Heart- Brain Coherence (Entrainment)

القرآن يوجّه الأبحاث الطبية بومضاته الإعجازية

الخلايا الأولية المكونة للقلب أعلى الخلايا الأولية التي ستكون المخ مباشرة وذلك في اليوم ١٩ من حياة الجنين!.

ثم تبدأ هذه الخلايا القلبية في الاندماج والنزول تدريجياً حتى تصل إلى الصدر مكونةً القلب، وفي أثناء هذا النزول يحافظ القلب على اتصاله بالمخ عن طريق الأعصاب والأوعية الدموية وكذا التشابه الهرموني والتوافق الكهربائي وتظل العلاقة الوثيقة بينهما طوال العمر مكونة لب وجوهر الإنسان!؟

من كل ما سبق من معلومات طبية حديثة يمكن القول بكثير من الارتياح بأن القلب هو: المفتي في النواحي العصبية والمعرفية! والغدة المايسترو في النواحي الهرمونية! والمضخة الأساسية في الدورة الدموية! والمولد الأقوى في المجالات الكهرومغناطيسية!

وصدق رسول الله ﷺ حين قال (ألا إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب). وهذا ما توصل إليه الطب الحديث أن القلب هو العضو الأهم في الحفاظ على الوظائف والمعدلات الطبيعية لجسم الإنسان من الناحية الجسدية والنفسية ما يطلق عليه "Homeostasis".

مما سبق نتبين أوجه الإعجاز الطبي للقرآن الكريم فيما يتعلق بالمضغة الأهم في الجسم ألا وهي القلب، وندرك أن ما جاء. في آيات الذكر الحكيم والسنة النبوية منذ أكثر من ١٤٠٠ سنة هي وظائف علمية وحقيقية وليست مجازية تخيلية. فتبارك الله أحسن الخالقين القائل في كتابه الكريم ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ (الملك ١٤).

وبناءً على هذه الآية يمكن أن يكون القرآن موجهاً للأبحاث الطبية بومضاته الإعجازية! فهو القائل وقوله الحق ﴿ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ﴾ (ص: ٨٨).

وسوف تقرأ هذه الآية هكذا في كل عصر تشجيعاً لنا على الاستمرار في البحث والتدبر في الآفاق وفي الأنفس.

المراجع العربية

١. القرآن الكريم.
٢. المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم. محمد فؤاد عبد الباقي - دار الحديث - القاهرة ٢٠٠١م.
٣. أ.د. فؤاد يحيى أحمد. محاضرة بعنوان (ألا بذكر الله تطمئن القلوب) بالمؤتمر الدولي لكلية صيدلية الأزهر في ٢٠٠٨/١٠/١٢. دار الدفاع الجوي القاهرة.
٤. أ.د. فؤاد يحيى أحمد - مقالة بعنوان (مخ القلب)! مجلة أعضاء هيئة التدريس - جامعة عين شمس (تحت الطبع).

المراجع الإنجليزية

1. Armour J.A, Murphy D. A, Yuan B.X, MC Donalds and Hopkins D.H. (1997): Gross and microscopic anatomy of the human intrinsic cardiac nervous system. The anatomical record 247: p 289 - 298.
2. The heart brain. Armour J. A. and Ardel J. New York, Oxford university press 1994.
3. Institute of heart-math (IHM) California, USA.(2009) An overview of research on "Exploring the role of the heart in human performance (12 parts on Google search).
4. Bensimon M. et al. (2004): participation of g. proteins in natriuretic peptide hormone (ANH) secretion from the heart atria. Endocrinology. V) 45 (11): P. 5313.
5. Tomita y. et al (2005): cardiac neural crest cells contribute to the dominant multipotent stem cells in the mammalian heart. J. cell biology. 170 (7): 1135.
6. Mc Craty R, Atkinson M, tiller W.A. (1999): The role of physiological coherence in the detection and measurement of cardiac energy exchange between people. Proceedings of the 10th international montreaux congress on stress, montreaux Switzerland.
7. The science behind EM wave and heart Rhythm www.emwave.org/emwave heartsicence.html.
8. Mc Craty R. Science of The Heart. You tube search engine (30 Videos).
9. The Ganglia of the Cardiac plexus are shown as small white dots, mainly in the region of the atria. Fig (1).
10. Cone focal microscopy of Cardiac Ganglion, magnified from the white dots as per Fig (1). Fig (2), Fig (3).
11. Vagus Nerve (purple) termination in the brain showing the nervous communication with the heart Fig (4).
12. Vagus Nerve Stimulation (VNS) Therapy Fig (5).
13. Origin of Cardiac hormones from the right atrium- myocytes Fig (6).
14. Heart-Brain Vascular communication, Fig (7).
15. Electromagnetic field of the heart Fig (8).
16. Waves representing the Heart-Brain Coherence (Entrainment) Fig (10).
17. Contact between the primitive Heart (red dots) and Brain cells (blue body) Embrio, Fig (11).



أمل جديد لمرضى السكر..
أنسولين من حليب النوق

أ.د. محمد الشربيني*

قال الله تعالى: ﴿أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت﴾ (الغاشية: ١٧)

لقد أصبح لبن الناقة جزءا من الحضارة والتراث، انشد قدماؤنا الشعر في الإبل وتفاخروا بها، وكان لديهم مثل (الماء هو الروح ولبن النوق هو الحياة) وقدموه كمهور للزواج نظرا لان الناقة هي الحيوان الوحيد الذي تستطيع أن تدر اللبن بدون انقطاع حتى في أسوأ الظروف البيئية الصحراوية وكأنها تدر اللبن تحت حصار اقتصادي ممثل في قلة الماء وفقر المراعي وشدة الحرارة وأظهرت الدراسات أن نسبة الماء في اللبن تحت هذه الظروف يصل إلى ٩٠٪ وهذا له أهمية كبيرة في الحفاظ على حياة صغار الإبل التي في المستقبل تصبح أمهات لإنتاج اللبن. علما بأن السكان الذين يقطنون المناطق الجافة يعتبر الماء هاما بالنسبة لهم للمحافظة على الاتزان البدني والتعادل الحراري داخل الجسم.

فإذا كان هذا الذي سبق ذكره هو منظور وتقدير القدماء، إذا فما هو منظور التطور العلمي الحديث عن لبن الناقة؟

* جامعة المنصورة

حينما أعلنت جميع وسائل الإعلام عن ظهور مرض جنون البقر فإن الإنسان على الصعيد العالمي ارتجف وكأنه تعرض لزلزال وكان السؤال الحاضر على لسانه: ما هو البديل للبن الأبقار والأغنام؟ خوفا من أن تكون هذه الألبان حاملة للبريون المسبب لمرض جنون البقر؟ فإذا به يجد نفسه أمام منافذ لبن النوق وخاصة أن الدراسة الحديثة أشارت إلى أنة لم تسجل حالات إصابة الإبل بمرض جنون البقر ولا الحمى القلاعية.

أظهرت الأبحاث العلمية الحديثة أن لبن الناقة تحفه الأسرار الطبية والبيولوجية ومنها: احتواؤه على أنسولين مميز مقاوم للعصارة المعدية (والذي جعل من لبن النوق برنامجا غذائيا مكملا للبرنامج العلاجي) مما بعث لمرضى السكر أملاً جديدا في تفادي مضاعفات مرض السكر لأنة يعوض فاقد الأنسولين ويحسن من أداء الأنسولين داخل الجسم بالإضافة إلى تحسين وظائف الكبد والعقل مما دفع العلماء لينقبوا عن استخلاص الأنسولين من لبن الناقة للوصول إلى طفرة علمية جديدة.

هناك أسرار أخرى للبن الناقة والمتمثلة في زيادة كفاءة الجهاز المناعي لمريض السكر نظرا لاحتوائه على أجسام مناعية متناهية الصغر قادرة على غزو الأحياء الدقيقة والمدعمة من فيتامين (ج) الذي يقوم بدور المنشط الأول للجهاز المناعي والأنسولين وتبلغ نسبة فيتامين (ج) في لبن النوق ثلاثة أضعاف النسبة التي يحتويها لبن الأبقار.

ولقد لوحظ أن مرضى السكري الذين يداومون على شرب لبن النوق يتمتعون بصحة جيدة وحيوية متدفقة لدرجة أنه



سهل الهضم والامتصاص وفيه نسبة كبيرة من الحديد والبوتاسيوم

قد تم في الهند إنشاء عيادات خاصة تعتمد على استخدام لبن الناقة كبرنامج غذائي مكمل للبرنامج العلاجي ضد الأمراض مثل السكري وما يصاحبه من الأمراض الأخرى كمضاعفات نتيجة ضعف الجهاز المناعي منها السل والتهاب الكبد الوبائي اعتقادا منهم أن لبن النوق يمتلك مزايا تؤهله لتغذية الإنسان وحمايته من الأمراض.

وقد أسفرت نتائج الأبحاث المتقدمة على لبن النوق أنة يتميز عن غيره من الألبان لامتلاكه مركبات بروتينية وكيموحيوية منها مضادات السموم والجراثيم والسرطانات وان الإبل السليمة التي

تتغذى على النباتات والأعشاب الطبية تفرز لبنا آمنا خاليا من الملوثات.

والقيمة الغذائية أو البرنامج الغذائي الذي يتميز به لبن النوق انه يحتوي على بروتين يتقارب مع لبن الأم مما يجعله سهل الهضم والامتصاص ودهون قصيرة السلسلة وغير مشبعة ومستوى منخفض من الكولسترول وهو المستوى الهام لصحة مرضى السكر ونسبة كبيرة من الحديد والبوتاسيوم مقارنة بلبن الأبقار وهذان العنصران هامان لزيادة النشاط الحركي لمرضى السكري ووقايتهم من الإصابة بفقر الدم وكذلك ارتفاع مستوى السكر في الدم.

في الآونة الأخيرة زاد الاهتمام العربي بل والدولي بتربية الإبل أملاً في تحقيق عنصر الحماية الطبيعية ضد الأمراض والاستفادة من القيمة الغذائية والبيولوجية للبن النوق.

ونأمل أن تنال الإبل الحظ الأوفى من التطوير لزيادة إنتاج اللبن ذي الجودة العالية وخاصة أن العالم اليوم في أمس الحاجة للبروتين المناعي الذي يمد الجسم بمغذيات الحماية من الإصابة بالأمراض.

مميزات أنسولين لبن النوق:

أظهرت الدراسات الحديثة أن أنسولين لبن النوق هو الوحيد الذي يقاوم العصارة المعدية ويمر إلى الأمعاء الدقيقة ليتم امتصاصه بسهولة وهذا السبق العلمي فتح أبواب التفوق لدى العلماء عن سرعة استخلاصه وتقديمه على شكل كبسول أو حبوب حاملة لأنسولين طبيعي مميز يغني



طفرة علمية جديدة: أنسولين من لبن النوق

مرضى السكري من عناء الحقن وهذا يعد بابا لدخول حاملي علم ينتفع به إلى الجنة والملائكة يستغفرون الله لهم ويحفونهم بأجنحتها حتى تصل إلى عنان السماء والمرضى يدعون لهم نظير إعفائهم من آلام الحقن واستمتاعهم بحياة أفضل نتيجة الحد من ظهور مضاعفات المرض مثل بطء التئام الجروح وضعف الإبصار وبتر الأطراف وغيرها...

أسفرت نتائج بعض الدراسات أن كمية أنسولين لبن النوق (52 units) تقدر بثلاثة أمثال نظيرتها في لبن الأبقار (16 units) وان مرضى السكري الذين انتظموا في شرب لبن النوق بمعدل ½ لتر يوميا لمدة عام قد تحسنت صحتهم بانخفاض مستوى سكر الجلوكوز في الدم وارتفاع مستوى الأنسولين مما أدى إلى خفض جرعة الأنسولين المعطاة لهم إلى الثلث.

- بروتين لبن النوق ومنها الأنسولين أكثر ثباتا للمعاملات الحرارية مثل البسترة مقارنة بحليب الأبقار (محمد الشربيني وماجدة الكومي ٢٠٠٥) وهذا في حد ذاته ألقى الضوء للعلماء ومرضى السكر أن تناول لبن النوق المبستر آمن وذا قيمة بيولوجية راقية.
- لبن النوق ثري بفيتامين (ج) ومضادات الأكسدة وأحماض دهنية غير مشبعة (حمض اللينوليك) ذات التأثير المنشط والداعم للجهاز المناعي والأنسولين.
- أظهرت الدراسات أن تناول لبن النوق بصفة منتظمة يعمل على وقاية مريض السكري من الإصابة بالسرطانات لأنه يحتوي على أحماض دهنية مميزة تلعب دورا جوهريا لمنع تكوين المواد المسرطنة بالجسم مثل حمض دهني يسمى اللينوليك، لأن الأحماض الدهنية غير المشبعة تنشط عمل الأنسولين.
- لبن النوق يحتوي على أجود أنواع البروتين الضرورية لبناء خلايا الجهاز المناعي بالجسم حيث أن الخلايا المناعية بالجسم يصل عددها واحد تريليون خلية مناعية وأساس بنائها بروتيني.
- قدرة لبن النوق على تخليص الجسم من الدهون ويحسن من الأداء الوظيفي لمستقبلات الأنسولين في الجسم.
- لبن النوق مضاد للبدانة. يمتاز لبن النوق بخصائص تؤدي إلى تخفيض الوزن وتفسير ذلك أن السعرات الحرارية الناتجة عن تناول لبن النوق اقل من نظيراتها في لبن الابقار وهذا مفيد للكفاءة الوظيفية للأنسولين حيث انة لا يعمل في الأجواء الدهنية.
- لبن النوق يعد هدية عظمى لمرضى السكر الذين يعانون من حساسية شرب لبن الأبقار لخلوه من بيتاكازين، توجد هذه المادة في حليب الأبقار بكثرة وتتفاعل مع الجهاز المناعي في الجسم مما يؤدى إلى ظهور ثلاثة أنواع من الحساسية قد ينتهي أخطرها بالوفاة.
- لبن النوق مضاد للحساسية الناشئة عن تناول لبن الأبقار فقد أكدت الدراسات أن لبن النوق ملائم للذين تتولد عندهم حساسية نتيجة شرب لبن الأبقار بسبب عدم هضم سكر اللبن (اللاكتوز) وان الذين يداومون على شرب لبن النوق

يتمتعون بصحة جيدة لزيادة تركيز أنزيم اللاكتيز في الأمعاء الدقيقة والمسئول عن تحليل سكر اللاكتوز مما يسهل عملية امتصاصه دون الشعور بأي اضطرابات هضمية، وتفادي حدوثها يعظم من امتصاص الأنسولين من الأمعاء الدقيقة.

- لبن النوق هام لبناء وتركيب خلايا المخ والخلايا العصبية بحيث يتحلل سكر اللاكتوز داخل الأمعاء الدقيقة إلى جلوكوز وجلاكتوز. وسكر الجلاكتوز أحادى يستطيع أن يمر من غشاء الأمعاء ليصل إلى الدم ومنه إلى المخ ليصبح أعظم غذاء للمخ وهاما لبناء الخلايا العصبية. والجلوكوز يصبح مصدرا للطاقة ومن هنا يتم تنظيم تركيزه في الدم مما يسهل من الأداء الوظيفي للأنسولين.

القيمة البيولوجية للانسولين

أكدت مجموعة من العلماء بقسم علوم الأغذية والرقابة الصحية على الأغذية بكليتي الزراعة والطب البيطري بجامعة (ليبيا) والمنصورة والأزهر (مصر) أن لبن النوق هو الأفضل من حيث احتوائه على مكونات وعناصر غذائية ذات المميزات الطبية الفائقة والتي تدعم الكفاءة الوظيفية للأنسولين:

١. **يمتاز لبن النوق بسهولة الهضم والامتصاص:** التفسير العلمي لدى تأملنا في مكونات لبن النوق نلاحظ ما يلي:

أ. يمثل كازين لبن النوق ٧٠٪ من البروتين وهو الأقرب للبن الأم الذي يمثل فية الكازين ٦٠٪ من البروتين بينما يمثل الكازين ٨٠٪ من بروتين لبن الأبقار وزيادة نسبة الكازين في لبن الأبقار تعوق عمليتي الهضم والامتصاص عند الأطفال حديثي الولادة بالإضافة إلى أنها تشكل عبئا ثقيلا على الكلى وتؤدي إلى زيادة اليوريا في الدم مما يعرض الأطفال لمخاطر صحية.

ب. صغر حجم حبيبات الدهن في لبن النوق عن نظيرتها في لبن الأبقار مما يجعلها أسهل هضما وامتصاصا وبالإضافة إلى أن لبن النوق يحتوي على دهون ذائبة قصيرة التسلسل ذات الذرات القليلة من الكربون.

٢. **يوفر لبن النوق للجسم عنصر الحماية ضد كثير من الأمراض وينشط الجهاز المناعي:** نظرا لاحتوائه على نسبة كبيرة من البروتين الواقي ومضادات الجراثيم مثل اللاكتوفيرين والليزوزيم بالإضافة إلى أنة يحتوي على كمية كبيرة من فيتامين (ج) بما يعادل ٣ أمثال نظيرة في لبن الأبقار وضعف نظيرة في لبن الأم.

٣. يحتوي لبن النوق على أجسام مناعية متناهية الصغر تستطيع أن تغزو الفيروسات مما يعظم دور لبن النوق كبرنامج غذائي مكمل للبرنامج العلاجي لمرضى التهاب الكبد الوبائي نوع C.

٤. **تحسين وظائف الكبد والمخ والبنكرياس:** فقد أكدت دراسات أن الرعاة الذين يعيشون في كينيا والصحراء الكبرى وروسيا والذين يتناولون لبن النوق بصفة منتظمة يتمتعون بصحة جيدة وحيوية متدفقة.

٥. **يحتوى لبن النوق على مضاد حيوي ضد السل أو الدرن** حيث أعلنت صحيفة إماراتية أن الدراسة العلمية التي أجريت في مجمع زايد لبحوث الأعشاب والطب التقليدي في (أبو ظبي) أثبت أنه يمكن تطوير مضاد حيوي من لبن النوق ضد جرثومة الدرن.

٦. **يساهم في علاج كثير من الأمراض الأخرى** ومنها: الدرن والاستسقاء واليرقان التي تعد من مضاعفات مرض السكري.

٧. **لبن النوق مضاد لهشاشة العظام والكساح** فتناول لبن النوق بصفة منتظمة يعمل على وقاية مرضى



السكر من هشاشة العظام والكساح لاحتوائه على نسبة جيدة من الكالسيوم والفوسفور والمعروف أن سحب الكالسيوم من الجسم مثبط لعمل الأنسولين..

٨. **لبن النوق خافض للكولسترول:** أكدت الدراسات الحديثة أن تناول لبن النوق بصفة منتظمة يؤدي إلى خفض نسبة الكولسترول في الدم الأمر الذي يعمل على وقاية المستهلك من الإصابة بتصلب الشرايين وأمراض القلب.وهكذا فإن التحكم في مستوى الكولسترول يحد من مضاعفات السكر ويحسن من الأداء الوظيفي للأنسولين.

٩. **لبن النوق مقو عام للجسم؛** لأن لبن النوق يحتوي على مستوى عال من الحديد والنحاس والصوديوم مقارناً بلبن الأبقار مما يؤدي في الوقت نفسه إلى زيادة الكفاءة الوظيفية للأنسولين.

١٠. **وهكذا فإن لبن النوق يساعد على تقوية القدرة الجنسية :** أظهرت الدراسات أن تناول لبن النوق بصورة منتظمة يؤدي إلى تقوية الناحية الجنسية لمرضى السكر وان المعمرين الذين يبلغون التسعين من عمرهم والمنتظمين في تناول لبن النوق يحتفظون بقدرتهم الجنسية العالية خاصة أن مرضى السكر يعانون الضعف الجنسي والذي ينشأ عنة التوتر العصبي وزيادة تركيز مستوى هرمون الأدرينالين المثبط لعمل الأنسولين.

١١. **لبن النوق مضاد للأثر التراكمي للرصاص لدى الأطفال:** فقد أظهرت بعض الدراسات أن لبن النوق مزود بمستوى عال من الكالسيوم الذي يشكل خط دفاع داخل الأمعاء لمنع امتصاص الرصاص مما يوفر للأطفال عنصر الحماية من مخاطر الأثر التراكمي للرصاص وخاصة على المخ والجهاز العصبي والكالسيوم من العناصر المنشطة لعمل الأنسولين.

١٢. **التداخل الغذائي:** أفادت بعض الدراسات أن تناول كوب لبن الناقة المعامل حراريا والمحلى بملعقة صغيرة في عسل نحل على معدة خاوية تحقق للمستهلك التمتع بالنوم الهادئ والصحة الجيدة.

اللبن المعامل حراريا

لقد عظم قدماء العرب لبن النوق ووصفوه بأنة الحياة وكان لهذا التعظيم منارة التقدم العلمي والتكنولوجي لدرجة أن العالم أصبح يقدس هذه النعمة وخاصة بعد الاكتشافات الحديثة للأسرار التي تحملها هذه النعمة وأمكن الكشف عن

لبن النوق يحتوي على بروتين يتقارب مع لبن الأم

وجود الأنسولين الطبيعي والمميز في لبن النوق مما فتح أملاً جديدا لمرضى السكر بتحسين حالاتهم والحد من المضاعفات التي كانت تلاحقهم حينما يتناولون لبن النوق المعامل حراريا كبرنامج غذائي مكمل للبرنامج العلاجي.

ومن وصايا القانون الأوروبي ومنظمة الصحة العالمية تناول المستهلك اللبن المبستر او المعامل حراريا لأن الهدف من معاملة اللبن حراريا هو القضاء على الأحياء الدقيقة الممرضة مثل جرثومة السل والبروسيلا والتي تسبب إصابة المستهلك بالدرن أو السل والحمى المالطية وغيره والتي قد تصل إلى اللبن نتيجة التلوث البيئي أو مصادر أخرى. ومن الأهداف التي تحققها المعاملات



الحرارية للبن إطالة فترة الصلاحية والمحافظة على الحالة الصحية للبن وكذلك قيمته الغذائية والبيولوجية. ففي كازاخستان يتم استهلاك لبن النوق مغليا وفي موريتانيا يتم استهلاك لبن النوق المبستر عند ٨٠مº لمدة ٢٠ ثانية وتوصى معظم دول العالم ببسترة اللبن عند ٧٢-٧٥مº لمدة ١٣-٣٠ ثانية لتفادي إصابة المستهلك بالأمراض.

أن المعاملة الحرارية تحقق الأمان للمستهلك وتدفع الكثيرين من المستهلكين الذين لا يفضلون تناول لبن النوق بأن يتناولوه ويستفيدوا من قيمته الغذائية والبيولوجية فهو برنامج غذائي يدعم وظائف الجهاز المناعي للجسم لمقاومة الأمراض، وقد لاحظ الباحث أن مرضى السكر الذين انتظموا في تناول ٥٠٠مل/يوميا من لبن نوق بالإضافة إلى تعاطي العلاج (الأنسولين) لمدة عام قد انخفضت الجرعة العلاجية لديهم بمقدار الثلث كما لوحظ الحد من المضاعفات الناشئة عن الإصابة بمرض السكر مثل تأجيل أو تأخير التئام الجروح وبرودة الأرجل وارتفاع مستوى السكر في الدم ومشاكل الإبصار... الخ

يشمل هذا العرض التنقيب عن إظهار الدراسات العلمية التي تبرز الاكتشافات الحديثة للأنسولين الطبيعي الموجود بلبن النوق وأهمية ذلك لمرضى السكر وتأثير المعاملات الحرارية على الأنسولين وقد أظهرت نتائج الباحثين أن لبن النوق يحتوي على أنسولين بمقدار يتراوح بين ٢٨-٥٢ وحدة / لتر وأن التأثير الحراري على الأنسولين جزئيا مما أبهر العلماء وخاصة أن هذا النوع من الأنسولين يقاوم العصارة المعدية ليمر إلى الأمعاء فيسهل امتصاصه وهذه الميزة منفردة لأنسولين لبن النوق دون غيرة.

أما بالنسبة للكشف النوعي والكمي عن الأنسولين في لبن النوق فقد أظهرت الدراسة أن تأثير المعاملات الحرارية على الأنسولين جزئيا وليس كليا وكانت الكميات المتبقية بعد الأثر الحراري تتراوح بين ٧٠-٧٥ ٪ في اللبن المعالج حراريا.

اكتشاف جديد لتفادي مضاعفات مرض السكر

وبالنسبة إلى دراسة أهمية استخدام الأنسولين الطبيعي الموجود في لبن النوق لضبط نسبة الجلوكوز في الدم للحد من مضاعفات مرض السكر فقد تم استخدام ٤٠ من ذكور الجرذان؛ حيث تم تقسيمهم إلى خمس مجموعات (كل منها ثمانية جرذان) والتي تمثل في ج١، ج٢، ج٣، ج٤، ج٥، وقد تركت ج١ (المجموعة الضابطة) بدون معالجة بينما تم إصابة المجموعات الأخرى وهي ج٢، ج٣، ج٤، ج٥ معمليا بمرض السكر عن طريق حقنها بجرعة من الستريتزوتوسين (٤٠ ملجم / كجم يوميا) لمدة ٥ أيام وتركت المجموعة الثانية بدون تناول لبن النوق بينما تناولت المجموعات الأخرى (ج٣، ج٤، ج٥) لبن النوق يوميا لمدة شهر عن طريق الفم (صناعيا) بجرعة تساوى ١٠ مل / كجم وقد تناولت المجموعة الثالثة (ج٣) لبن النوق الخام بينما تناولت المجموعة الرابعة (ج٤) لبن النوق المغلي ١٠٠,١٧مْ / ٥ دقائق وتناولت المجموعة الخامسة (ج٥) لبن النوق المبستر معمليا (٦٣ مْ / ٣٠ دقائق) وقد أوضحت الدراسة أن المعالجة بلبن النوق سواء الخام أو المعامل حراريا خفض نسبة السكر إلى حوالي ١٢٥ملجم/١٠٠ مل للبن المعامل حراريا وزاد من نسبة الأنسولين ١,٧ وحدة /مل في الدم وقد حد من مضاعفات مرض السكر وذلك عن طريق الكشف عن وظائف كل من المخ والكبد والتي تمثلت في قياس الأكسدة الفوقية وبعض مضادات الأكسدة الموجودة بالأنسجة مثل الجلوتاثيون والسوبر اوكسيد ديسموتاز والكتاليز وكذلك صاحب هذه القياسات قياس كل من الدهون الكلية والكولسترول الكلي وكذلك الدهون المفسفرة في كل من المخ والكبد كما تم قياس أنزيم الاستيل كولين ستيريز في المخ وأسفرت النتائج عن:

التحسن الملحوظ في وظائف كل من المخ والكبد مما ساهم في الحد من مضاعفات مرض السكر في الجرذان التي تناولت لبن النوق مقارنة بالجرذان التي أصيبت بالسكر ولم تتناول هذا اللبن.

وتوصى هذه الدراسة بأن المعاملة الحرارية للبن النوق توفر الأمان الصحي لمرضى السكر من اتجاهين: الاتجاه الأول أن المعاملة الحرارية خط دفاع ضد الميكروبات الممرضة التي قد تنتقل للإنسان، الاتجاه الثاني أن التأثير الحراري على الأنسولين جزئيا وليس كليا وأن تناول لبن النوق المعامل حراريا يعد برنامجا غذائيا بيولوجيا مكملا للبرنامج العلاجي.

النبات في القرآن الكريم.. التين



أ.د. دأود الربيعي

قال الله تعالى: ﴿والتين والزيتون وطور سنين...﴾ (التين: ١ - ٢).

التين شجرة زراعية، برية، ذات سيقان قائمة وأغصان اسطوانية، يصل ارتفاعها إلى ١٠متر. وعند كسرها يخرج منها سائل حليبي أبيض. الأوراق قلبية، الجديدة منها ملساء غير مفصصة أما القديمة فخشنة ومفصصة. لا تظهر لأشجار التين أية أزهار، مشابهة للمألوفة،سواء كانت ذكرية أو أنثوية. وتجدر الإشارة إلى أنه لا يمكن أن تتكون الثمار في عالم النبات بدون أن يسبقها ظهور للأزهار، لذا تعد الثمرة ذاتها زهرة، ولكن مقلوبة إلى الداخل، ويمكن أن يلاحظ ذلك عند فتح الثمرة، حيث تبدو وكأنها زهرة داخلية، ولانفرادها بهذه الميزة خص الباري عز وجل ذكرها في كتابه الحكيم والتي يتنوع لونها من الأخضر إلى الأصفر والنحاسي والمحمر والأرجواني والأسود. شكلها كمثري ذو قاعدة قرصية، ورفيع من الأعلى حيث ينتهي بعنق صغير، داخلها بذور شبه كروية صغيرة،يصل عددها مابين ٣٠ - ١٦٠٠بذرة في الثمرة الواحدة ينتمي التين إلى عائلة (Moraceae) التي تضم ١٠٠٠ نوعٍ من النباتات واسمها العلمي (Ficus Carica) والإنكليزي (Fig).



السائل الحليبي لأغصان التين يكبح نمو الخلايا السرطانية

ويوجد من التين حوالي ٧٠٠ نوعاً ولكن الموجود في الأسواق العربية هي النوع الصيني الأخضر الحشيشي اللون والتركي أو الشامي ذو اللون المحمر أو الأسود أو الأرجواني، وهو أفضلها مذاقا.

المركبات العلاجية، الوقائية والتغذوية: يحتوي كل ١٠٠ غرام من التين بنوعيه الطازج والجاف على:ماء١١, ٧٩غرام/٣٠غرام لكل منهم أو طاقة ٧٤ /٢٤٩ كيلوسعرة على التوالي. وبروتين ٠,٧٥غرام/٣٠, ٣غرام. دهون٣٠, ٠/٩٣, ٠ غرام.

كربوهيدريت١٨, ١٩غرام/٣٦, ٦٣ غرام. الياف٩, ٢ غرام/٨, ٩ غرام على التوالي. فضلا عن عشرة أنواع من الأملاح المعدنية وعشرة فيتامينات وأكثر من ١٨ حامض أميني في النوع الطازج، وفي الجاف منه،عشرة أنواع من المعادن وثمانية فيتامينات ونفس العدد من الأحماض الأمينية... هذا علاوة على عدد من المركبات الكيماوية ذات الفوائد العلاجية المهمة مثل: الأحماض الدهنية كاللينوليك والأوليك واللينولينك والبالميك والاراشيدك والاستيرك والبركابتين والستكماستيرول والسيتوستيرول والبلاكابتين واللالبومين والفيسين...

الفوائد الطبية:

لقد استخدم التين منذ القديم كغذاء وعلاج للضعف العام والتهابات الجلد. أما في الوقت الحاضر فيستعمل فضلا عن ذلك، للوقاية والعلاج من عدد آخر من الأمراض.

التين يقي من الالتهابات: تؤكد دراسات ماكوفيرن/٢٠٠٢[١] أن التين يقي من التهابات وسرطان البروستات. كما أنه يحافظ على الماء في الجلد، مما يزيد في نضارته. ويبين بولونين/١٩٨٦وكارول/٢٠٠٤[٢] أن الثمار تستخدم لعلاج التهاب الحنجرة واللثة والرمد، وتقي من التهابات الكبد والكلى والطحال. وتعزى فاعلية التين في علاج الجروح والقروح والأورام والالتهابات الجلدية إلى احتوائها على Benzaldehyde, Polyphenoles, Coumarins التي لها خاصية انقباضية للجلد، وإبادة الفطريات والبكتريا.

التين علاج للضعف العام: نظرا لاحتوائه على العديد من السعرات الحرارية والفيتامينات والأملاح المعدنية والأحماض الأمينية، المذكورة في أعلاه، فإنه مغذ للصغار وكبار السن. فضلا عن استخدامه في صناعة الحلويات والعصائر والمعجنات. ويؤكد دوك/١٩٨٥وشافلير/١٩٩٦[٣] على أهمية ثماره في طرد البلغم وتسهيل الهضم، والثمار غير الناضجة لإدرار الحليب والضعف العام. فالثمار تحتوي على كميات من الألياف والحديد، ضعف ما هو موجود منها في الخوخ، ومن الكالسيوم أكثر مما في الحليب ومن البوتاسيوم،أكثر من ٨٠٪ مما هو موجود في الموز.

السائل الحليبي والغذاء: ينضح هذا السائل من الأغصان عند كسرها،فيجمع ويستخدم لتخثير الحليب وصناعة الجبن ويضاف إلى اللحم المطبوخ ليزيد من ليونته، كما أنه يصفي الماء ويذيب الدهون.

السائل الحليبي والأمراض الجلدية: يشير مورتون /١٩٨٧ وبولونين/١٩٨٧[٤] إلى فاعليته في علاج الثآليل والقروح والبثور

التين طارد للبلغم ومبيد للفطريات والبكتريا المسببة لها



أوراق التين تخفض السكر وتعالج البواسير وضعف نمو الشعر والتهاب اللثة

ولسعات الحشرات والعضات والمسامير الجلدية لأنها مبيدة للفطريات والبكتريا المسببة لها.

السائل الحليبي وأنواع السرطانات: وتؤكد دراسات روبينوف/٢٠٠١(٥) على استخدام هذا السائل في كبح نمو الخلايا السرطانية. وتؤكد ذلك دراسات يابانية، هيمازادا/٢٠٠٣(٦) وصينية، ليانجو/٢٠٠٥(٧) ولاسيما في الطحال والكبد والرئتين. فضلا عن تنشيطه لجهاز المناعة. وتعزى قدرة هذا السائل على مكافحة النموات السرطانية إلى احتوائه على Ficin المذيب للبروتينات، فضلا عن Triterpenoids, Benzaldehyd, Steroids

أوراق وقلف وسيقان التين وأمراض السكر والكوليسترول والضغط والتكلسات: يؤكد بيرز /١٩٩٦(٨) على فاعلية الأوراق في تخفيض السكر، كما تستخدم لعلاج البواسير وضعف نمو الشعر ورمل الكلى، ويؤيد ذلك: دراسة كولي(٩) ١٩٩٤، وبحوث كافيكومار/١٩٩٧(١٠)، وكنال/٢٠٠٠(١١) التي توضح فاعليتها في تخفيض السكر والكوليسترول وثلاثي الغليسريد. وتعزى فاعلية الأوراق والقلف على تخفيض السكر إلى احتوائها على الألياف و Tyrosine، البوتاسيوم وSitosterol Psoraten Polypenol Bergaptene, Pentosans. كما يشير مورتون/١٩٨٧(١٢) إلى أهميتها في علاج التكلسات في الكلى والكبد.

الأغصان والسعال: يشير شيج/١٩٨٤(١٣) على فائدة الأغصان كطارد للبلغم وذلك لأنها مبيدة للفطريات والبكتريا المسببة له، نظرا لاحتوائها على B1,2 المقوية للأغشية المخاطية.

فضلا عن استخدام الثمار لعلاج الإمساك والكسور والحروق..

واستكمالا للفائدة من هذه الشجرة، نورد عددا من طرق استعمالها:

طرق الاستعمال:

الثآليل والقروح: يدهن الجلد المحيط بهما بالفازلين، ثم توضع قطرة من السائل الحليبي على كل ثألولة أو قرحة.يكرر ٢-٣ مرات يوميا.

البثور والبقع السوداء ولنضارة البشرة والمسامير اللحمية والنموات الجلدية غير الطبيعية والأجسام الغريبة في الجلد: يدهن الجلد المحيط بها بالفازلين، وتوضع قطرة منه على مكان الإصابة مساءً. ويمكن وضع مهروس الثمار الطازجة على المناطق أعلاه مساءً. أما بالنسبة للأجسام الغريبة كالشوك مثلا، فبعد وضع السائل بربع إلى نصف ساعة يسهل التقاط الجسم الغريب.



يحتوي على العديد من السعرات الحرارية والفيتامينات والأملاح المعدنية

الإمساك: تقطع ٣-٥ ثمرات جافة وتوضع في قدح ماء مغلي وبعد أن يبرد يشرب الماء، ثم تؤكل الثمار بعد الغداء والعشاء وقبل النوم.

التهاب اللثة والحنجرة: تغلى ٣-٥ ثمرات وتوضع في قدح حليب ويغلى لمدة عشرة دقائق، وبعد أن يبرد ويصفى يمضمض أو يغرغر به ٣-٥ مرات يوميا.



البواسير وضعف نمو الشعر: تهرس ٢-٣ ثمرات من التين مع قليل من زيت الزيتون، فيتكون مرهم تدهن به البواسير بعد كل استعمال للمرافق الصحية.أما للشعر فتزيد كمية الزيت،فيتكون سائل كثيف تدلك بجزء منه فروة الشعر مساءا.ويغسل صباحا بماء دافئ وصابون نباتي.

السـكر والكوليسـترول: ملعقة صغيرة من مطحون الأوراق الجافة في قدح ماء مغلي وبعد أن يبرد ويصفى يشرب نصف إلى قدح كامل،حسب شدة المرض، ٢-٤ مرات يوميا.

الشيخوخة وضعف نمو الأطفال: تؤكل ٢-٥ ثمرات جافة أو طازجة بعد كل وجبة طعام.

مما تقدم من أدلة وبراهين، تبرز أهمية الإشارة في القرآن الكريم لهذه الشجرة التي أقسم الله بها، والتي تبين لنا أن لأوراقها وقلفها وثمارها وأزهارها الفريدة وعصير أغصانها، خصائص غذائية ووقائية وعلاجية، تميزها عن أشجار الفاكهة الأخرى.

المصادر

1. McGovern TW. The fig - Ficus carica L. [Review] [9 refs] Cutis. 69(5): 339 - 40, 2002
2. USDA,Agricultural Reseach Service -Polunin. O. and Huxley. A. Flowers of the Mediterranean. Hogarth Press 1987 ISBN 0 - 7012 - 0784 -1
3. Duke. J. A. and Ayensu. E. S. Medicinal Plants of China Reference Publications, Inc. 1985 ISBN 0 - 917256 - 20 - 4 Chevallier. A. The Encyclopedia of Medicinal Plants Dorling Kindersley. London 1996 ISBN 9 - 780751 - 303148
4. Polunin. O. and Huxley. A. Flowers of the Mediterranean,op.cit
5. Rubnov S. Kashman Y. Rabinowitz R. Schlesinger M. Mechoulam R. Suppressors of cancer cell proliferation from fig (Ficus carica) resin: isolation and structure elucidation. Journal of Natural Products. 64 (7): 993 - 6, 2001
6. http://www.holisticbird.org/diet/native2.htm 4 - Crole. E., 2004,
7. W. Lianju, J. Weibin, M. Kai, L. Zhifeng, W. Yelin THE PRODUCTION AND RESEARCH OF FIG (FICUS CARICA L.) IN CHINA ISHS Acta Horticulturae 605: II International Symposium on Fig, 2005
8. Perez C, Dominique E, Ramiro JM, Romero A, Campillo JE, Torres MD. A study on the glycaemic balance in streptotocin-diabetic rats treated with an aqueous extract of ficus carica,leaves. Phytotherapy Res 1996; 10 (1): 82 - 3.
9. Kohli, KR. Clinical evaluation of a few herbal extracts in prameha vis-a-vis diabetes mellitus, thesis submitted for doctor of philosophy in Ayurveda to the University of Mumbai. 1994
10. Kavikumar S, Ilango R, Gupta M, Majumdar UK. Hypoglycemic action of momordica charantia in normal and diabetic mice. Ancient Sc Life 1997; 17 (1): 32 - 5.
11. Canal JR. Torres MD. Romero A. Perez C. A chloroform extract obtained from a decoction of Ficus carica leaves improves the cholesterolaemic status of rats with streptozotocin-induced diabetes. Acta Physiologica Hungarica. 87(1): 71 - 6, 2000
12. Morton, J. 1987. Fig. p. 47 - 50. In: Fruits of warm climates. Julia F. Morton,

قواعد الحرب في الإسلام.. والقانون الدولي المعاصر

د. السيد مصطفى أبوالخير *

لقد حرصت على توضيح قواعد الحرب في الإسلام كي يدرك المجتمع الدولي أن الإسلام لم يتأخر يوما عن قيادة ركب الحضارة، فأبناء الإسلام علموا أوروبا الحضارة بشهادة الأعداء قبل الأصدقاء، ويكفينا شهادة الله في كتابه الكريم (كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر)، وقد سبق فقهاء الإسلام إلى وضع قواعد الحرب في الإسلام كاملة قبل أن ينص القانون الإنساني الدولي على الكثير من بنودها، فالفقيه محمد أبي الحسن الشيباني أول من وضع قواعد ومبادئ وأحكام هذا العلم في كتابيه السير الكبير والسير الصغير، وتكريما له أنشئت في ألمانيا جمعية تحمل اسمه.

وفي دراستنا هذه سوف نقارن بين قواعد الحرب في الشريعة الإسلامية ومثلها في القانون الدولي المعاصر الوضعي، لنثبت أن هذا القانون متجذر في الإسلام وقد طبقه المسلمون كافة بداية من رسوله الكريم ﷺ حتى عامتهم، دون تقصير أو انتقاص، فقواعد الحرب في الإسلام عبادة يتقرب بها المسلم إلى ربه، وتلك عظمة التشريع الإلهي، الذي جعل الرحمة للناس كافة وتلك عظمة الإسلام.

* خبير في القانون الدولي



المؤتمرات الدولية تعتمد الشريعة الإسلامية مصدراً للتشريع والقانون

أولا: قواعد الحرب في الشريعة الإسلامية

لقد تنبه علماء القانون في الغرب لعظمة الشريعة الإسلامية ومعرفتها الدقيقة بحاجات المجتمعات منذ وقت بعيد، وتوالت كتاباتهم وتعالت صيحاتهم للإشادة بالقوانين المستمدة من الإسلام، فتم الاعتراف بالشريعة الإسلامية كمصدر عالمي للتشريع والقانون في عدد من المؤتمرات الدولية العلمية منذ عام (١٩٣٢م) منها:

١. القانون المقارن الدولي في لاهاي عام ١٩٣٢م.
٢. مؤتمر لاهاي المنعقد ١٩٣٧م.
٣. مؤتمر القانون المقارن لاهاي ١٩٣٨م.
٤. المؤتمر الدولي بواشنطن ١٩٤٥م.
٥. شعبة الحقوق بالمجمع الدولي للقانون المقارن بباريس ١٩٥١م.

وقد صدرت عن هذه المؤتمرات قرارات هامة هي:

أ. اعتبار التشريع الإسلامي مصدرًا رابعًا لمقارنة الشرائع.
ب. الشريعة الإسلامية قائمة بذاتها لا تمت إلى القانون الروماني أو إلى أي شريعة أخرى.
ج. صلاحية الفقه الإسلامي لجميع الأزمنة والأمكنة.
د. تمثيل الشريعة الإسلامية في القضاء الدولي ومحكمة العدل الدولية.

في مؤتمر لاهاي للقانون المقارن لعام (١٩٣٢م) أشار الفقيه الفرنسي (لامبير) إلى ظاهرة التقدير الكبير للتشريع الإسلامي الذي بدأ يسود بين فقهاء أوروبا وأمريكا في العصر الحاضر فقال: (ولكني لا أرجع إلى الشريعة «يقصد الشريعة الإسلامية» لأثبت صحة ما أقول، ففي هذه الشريعة عناصر لو تولتها يد الصياغة فأحسنت صياغتها، لصنعت منها نظريات ومبادئ لا تقل في الرقي والشمول وفي مسايرة التطور عن أخطر النظريات الفقهية التي تتلقاها عن الفقه الغربي اليوم).

أيضا هناك فقهاء من الغرب أقروا بفضل الإسلام على القانون الدولي العام، منهم «فيتو ريا وسو ارس»، والبارون «ميشيل دي توب» أستاذ القانون الدولي بمعهد الدراسات الدولية بلاهاي بهولندا، حيث ذكر الكثير من القواعد والأحكام التي سبق الإسلام بها القانون الدولي؛ وعلى الأخص في نظم الحرب، وأورد وصية أبي بكر لجنوده، وذلك في الجزء الأول من مجموعة دراسات سنة ١٩٢٦م لأكاديمية القانون الدولي، كما أورد الأوامر التي أصدرها في قرطبة الخليفة الحاكم بن عبد الرحمن في هذا الشأن سنة ٩٦٣م، أي قبل أن تعمل الكنيسة البابوية للسلام، ومنهم أيضًا المؤرخ (سيد يو) في كتابه تاريخ العرب ص ١٥٢، حيث عدد الكثير من فضل الإسلام على الحضارة الغربية، وعلى الأخص في القانون الدولي.

و قد أفاض فقهاء الشريعة الإسلامية في كتب السير وكتب الجهاد، في شرح وبيان قواعد وأحكام القانون الدولي الإنساني الواردة في القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة والسيرة النبوية وسيرة الخلفاء الراشدين ومن تبعهم وسار على نهجهم.

أهم قواعد الحرب في الشريعة الإسلامية:

١. حماية النفس الإنسانية، أو حق الحياة، فحرص الإسلام ـ دون غيره من الملل والنحل والقوانين ـ على النفس،

فقال تعالى ﴿من أجل ذلك كتبنا على بني إسرائيل أنه من قتل نفساً بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعا ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا ولقد جاءتهم رسلنا بالبينات ثم إن كثيرا منهم بعد ذلك في الأرض لمسرفون﴾ (المائدة: ٣٢)، وقال تعالى: ﴿والذين لا يدعون مع الله إلها آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق أثاما﴾ (الفرقان: ٦٨). وقد تعددت الأحاديث النبوية التي طالبت المؤمنين باحترام النفس الإنسانية وحمايتها، فقد قال ﷺ عن قتل النفس إنها من الكبائر (الإشراك بالله، وقتل النفس)، وقال أيضًا (لا يزال المسلم في فسحة من دينه ما لم يصب دمًا حرامًا).

٢. النهى عن قتال غير المعتدين وتحريم الحرب العدوانية، مع إعطاء المسلمين حق الدفاع الشرعي الذي لم تعرفه البشرية إلا حديثًا، فقال تعالى: ﴿وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين، واقتلوهم حيث ثقفتموهم وأخرجوهم من حيث أخرجوكم والفتنة أشد من القتل ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه فإن قاتلوكم فاقتلوهم كذلك جزاء الكافرين، فإن انتهوا فإن الله غفور رحيم، وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله فإن انتهوا فلا عدوان إلا على الظالمين، الشهر الحرام بالشهر الحرام والحرمات قصاص فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم واتقوا الله واعلموا أن الله مع المتقين﴾ (البقرة ١٩٠ – ١٩٤).

٣. أباح الإسلام الحرب ردًا على الظلم، على أن تكون العقوبة بالمثل مع الحث على العفو إن أمكن، فقال تعالى (أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير، الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز) الحج: ٣٩. ٤٠، وقال تعالى (وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين) النحل: ١٢٦.

٤. أباح الإسلام الحرب عقوبة على الخيانة ونقض العهد والنكث للاتفاقيات التي تعقدها الدولة الإسلامية مع الدول الأخرى، فقال تعالى: ﴿إن شر الدواب عند الله الذين كفروا فهم لا يؤمنون، الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم في كل مرة وهم لا يتقون، فإما تثقفنهم في الحرب فشرد بهم من خلفهم لعلهم يذكرون﴾ (الأنفال: ٥٥-٥٨)، وقال تعالى ﴿لا يرقبون في مؤمن إلا ولا ذمة وأولئك هم المعتدون، فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فإخوانكم في الدين ونفصل الآيات لقوم يعلمون، وإن نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم فقاتلوا أئمة الكفر إنهم لا أيمان لهم لعلهم ينتهون، ألا تقاتلون قوما نكثوا أيمانهم وهموا بإخراج الرسول وهم بدؤكم أول مرة أتخشونهم فالله أحق أن تخشوه أن كنتم مؤمنين، قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين﴾ (التوبة: ١٠-١٤).



٥. أباح الإسلام الحرب لنصرة المظلوم، فقال تعالى: ﴿وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها واجعل لنا من لدنك وليا واجعل لنا من لدنك نصيرا﴾ (النساء: ٧٥)، كما قال تعالى: ﴿إن الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك بعضهم أولياء بعض والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا وإن استنصروكم في الدين فعليكم النصر إلا على

قواعد الحرب في الإسلام عبادة يتقرب بها المسلم إلى ربه

قوم بينكم وبينهم ميثاق والله بما تعملون بصير، والذين كفروا بعضهم أولياء بعض إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير﴾ (الأنفال: ٧٢ -٧٣).

٦. أمر الإسلام أتباعه بالاستعداد بالقوة الكافية لإرهاب الأعداء وليس الاعتداء فأمرهم بعمل جيش قوي فيه القوة بكافة ما استطاعوا من أسلحة وذخائر وعتاد، فقال تعالى: ﴿وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوف إليكم وأنتم لا تظلمون﴾ (الأنفال: ٦٠).

٧. حث الإسلام على مبدأ إعلان الحرب قبل القتال، ففي حديثين للرسول ﷺ قال لعلي بن أبي طالب ولمعاذ بن جبل في غزوتين مختلفتين (لا تقاتلوهم حتى تدعوهم للإيمان، فإن أبوا فلا تقاتلوهم حتى يقاتلوكم ويقتلوا منكم قتيلاً، ثم أروهم هذا القتيل وقولوا لهم هل لكم خيرًا من ذلك بأن تقولوا لا إله إلا الله... فلأن يهدي الله على يديك رجلاً واحدًا خيرٌ لك مما طلعت عليه الشمس وغربت).

هكذا عرف الإسلام مبدأ إعلان الحرب قبل القتال من قبل وجود القانون الدولي الوضعي والذي لم يعرف هذا المبدأ إلا في عام (١٩٠٧م) في مؤتمر لاهاي الثاني، وقد أعلن هذه الحقيقة البارون ميتشيل دي توب حيث قال (أنه وجد مبدأ إعلان الحرب في كتابات الفقهاء المسلمين مثل الحسن البصري البغدادي والمارودي، في حين أن أوروبا قد غشيتها الفوضى الإقطاعية...) ثم قال (لقد ساعد العالم الإسلامي في سبيل توفير الحياة الإنسانية الصحيحة على البشرية البائسة مساعدة يجب أن يُنظر إليها بعين التقدير السامي باعتبارها أسمى مما تم في أوروبا الرومانية والجرمانية والبيزنطية خلال القرون الوسطى، ولقد استفاد العالم الأوربي من الإسلام فوائد جمة مترامية المحيط).

٨. كان للإسلام السبق في التمييز بين المقاتلين وغيرهم من المدنيين الذين لا يقاتلون، الذي يتباهى الغرب قولاً لا عملاً بأنه يطبقها ولكنه يقننها فقط سرقة من الفكر الإسلامي. ففي وصية الرسول ﷺ لقادة الجيش في كافة الغزوات قال (انطلقوا باسم الله وعلى بركة رسوله لا تقتلوا شيخًا ولا طفلاً ولا صغيرًا ولا امرأة ولا تغلوا (أي لا تخونوا)، وأصلحوا وأحسنوا إن الله يحب المحسنين)، وقال أيضًا: (لا تقتلوا ذرية ولا عسيفًا، ولا تقتلوا أصحاب الصوامع)، وقد رأى الرسول ﷺ في إحدى الغزوات امرأة مقتولة فغضب وقال (ما كانت هذه تقاتل أو لتقاتل) وصدق من سماه الرءوف الرحيم ﷺ. أوصى الرسول ﷺ بعدم الإحراق بالنار فقال: (لا ينبغي أن يضرب بالنار إلا رب النار) رواه أبو داوود والدارمي.

٩. الحفاظ على البنية التحتية والمال العام والخاص، فهذا أبو بكر الصديق أول خليفة للمسلمين يوصي أمير أول بعثة حربية في عهده أسامة بن زيد فيقول: (لا تخونوا ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا طفلاً صغيرًا ولا شيخًا كبيرًا ولا امرأة ولا تقطعوا نخلاً ولا تحرقوه ولا تقطعوا شجرة مثمرة ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيرًا إلا لمأكلة وسوف تمرون على قوم فرَّغوا أنفسهم في الصوامع فدعوهم وما فرَّغوا أنفسهم له)، وفي وصيته لأميره على الجيش المتوجه إلى الشام زاد أبو بكر على ما سبق فقال (ولا تقاتل مجروحًا فإن بعضه ليس منه، أقلل من الكلام فإن لك ما وعي عنك، وأقبل من الناس علانيتهم وكلهم إلى الله في سرائرهم ولا تحبس عسكرك فتفضحه ولا تهمله فتفسده، وأستودعك الله الذي لا تضيع ودائعه).

١٠. وضع الإسلام منهاجًا في معاملة الأسرى جوهره التكريم والمحافظة على كرامة الأسير والمحافظة على حياته، فقال تعالى: ﴿ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم وتخرجون فريقا منكم من ديارهم تظاهرون عليهم بالإثم والعدوان وان يأتوكم أساري تفادوهم وهو محرم عليكم إخراجهم أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزي في الحياة

الدنيا ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب وما الله بغافل عما تعملون﴾ البقرة ٨٥، وقال تعالى ﴿ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم، لولا كتاب من الله سبق لمسكم في ما آخذتم عذاب عظيم﴾ (الأنفال: ٦٧- ٦٨)، وقال أيضا ﴿يا أيها النبي قل لمن في أيديكم من الأسرى إن يعلم الله في قلوبكم خيرا يؤتكم خيرا مما أخذ منكم ويغفر لكم والله غفور رحيم، وإن يريدوا خيانتك فقد خانوا الله من قبل فأمكن منهم والله عليم حكيم﴾ (الأنفال: ٧٠- ٧١)، وقال تعالى: ﴿فإذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى إذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق فإما منا بعد وإما فداء حتى تضع الحرب أوزارها ذلك ولو يشاء الله لا نتصر منهم ولكن ليبلو بعضكم ببعض والذين قتلوا في سبيل الله فلن يضل أعمالهم﴾ (محمد: ٤)، وقال تعالى: ﴿ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا﴾ (الإنسان: ٨). وقال ﷺ: (استوصوا بالأسرى خيرًا) أخرجه الطبراني في الصغير (جـ ١، ٢٥٠). وتتلخص نظرية الإسلام في الأسرى في عناصر ثلاثة هي، حسن المعاملة حتى يُبت في أمرهم، المن (إطلاق سراحهم) والفداء (الفدية) لمن يرجى منهم الخير، القتل لمجرمي الحرب. حتى القتلى في الإسلام

الحلول السلمية للمنازعات من أبرز القواعد الإسلامية

لهم حقوق، منها النهى عن التمثيل بالجثث، فقال ﷺ (إياكم والمثله ولو بالكلب العقور)، ويدفن قتلى الكفار في المعارك ولا يُتركوا في الشوارع حتى تأكل منهم الحيوانات. حماية حق الإنسان في الحياة، وجعل قتل نفس واحدة كقتل الناس جميعا، فقال اللّه تعالى: ﴿ومن قتل نفسا بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعا﴾ (المائدة: ٣٢).

١١. فوضع الإسلام ضوابط النزاعات المسلحة الداخلية غير ذات الطابع الدولي من خلال مبدأ التسوية السلمية للمنازعات التي تقوم بين المسلمين وأسبقيتها على الدفاع الشرعي فقال اللّه تعالى في القرآن ﴿وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما﴾ والصلح هنا يدل ويشير إلى الوسائل السلمية لفض المنازعات، بالإضافة إلى مبدأ الدفاع الشرعي الجماعي لقتال الدولة الباغية، فقال تعالى (فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفئَ إلى أمر اللّه) ولفظ القتال جاء بصيغة الأمر للمؤمنين (فقاتلوا) من أجل استنفار كل الهمم لإرجاع الحق إلى أصحابه ورد الجميع سواء كان ظالما ومظلوما إلى أمر اللّه.

ثانيا: قواعد الحرب في القانون الدولي المعاصر

لقد تأخر القانون الدولي المعاصر كثيرا في الأخذ بقواعد الحرب الموجودة في الشريعة الإسلامية، حيث بدأ ذلك في القرن الماضي فقط بعد أن ذاقت البشرية مرارة الحروب التي قتل فيها ملايين الناس وتهدمت البيوت والمدن على رؤوس أصحابها بدعوى المدنية والحضارة ولم يترك العالم الغربي نقيصة إلا وارتكبها، حتى بعد إقرار ضوابط الحرب في معاهدات جنيف الأربعة عام ١٩٤٩والبرتوكولين الإضافيين لهما عام ١٩٧٧ حيث ظلت هذه الضوابط حبراً على ورق. وتتلخص مهمة القانون الدولي الإنساني في حماية حقوق الإنسان أثناء النزاعات المسلحة، وهو يتكون من مجموعة مبادئ متفق عليها دولياً ومستقرة في المجتمع الدولي، تدعو إلى الحد من استخدام العنف أثناء النزاعات المسلحة، وحماية الأفراد المشتركين في العمليات الحربية، والذين توقفوا عن المشاركة فيها، مثل الجرحى والمصابين والأسرى والمدنيين بقصد جعل العنف في النزاعات المسلحة محصورا في الأعمال التي تقتضيها الضرورة العسكرية.

ومصادر القانون الدولي الإنساني هي اتفاقيات لاهاي لعامي ١٨٩٩ و١٩٠٧م، خاصة المواد التي تنص على الوسائل المسموح بها أثناء النزاعات المسلحة، واتفاقيات جنيف الأربعة لعام ١٩٤٩م (الأولى المتضمنة حماية الجرحى والمرضى وتحسين أحوالهم في القوات المسلحة في الميدان، والثانية بشأن تحسين حالة الجرحى والمرضى والغرقى في القوات المسلحة في البحار، والثالثة

بشأن معاملة أسرى الحرب، والرابعة بخصوص حماية المدنيين وبروتوكوليها الإضافيين لعام ١٩٧٧م). وإضافة إلى ذلك الإعلان الدولي بشأن حماية النساء والأطفال في حالات الطوارئ والمنازعات المسلحة لعام ١٩٧٤م، واتفاقية مناهضة التعذيب وغيره من ضروب المعاملة أو العقوبة القاسية أو اللا إنسانية أو المهينة لعام ١٩٨٤م، والمدونة الخاصة لقواعد سلوك الموظفين المكلفين بإنفاذ القوانين ١٩٧٩م، وتنص كافة هذه الاتفاقيات على عدم حرمان أحد من حياته بشكل تعسفي، أو تعريضه للتعذيب أو المعاملة أو العقوبة القاسية أو اللا إنسانية أو المحاطة بالكرامة.

ومع كثرة هذه القوانين إلا أنها تعاني من الضعف والفشل بسبب أن هذه الاتفاقيات لا تطبقها بعض الدول، وحتى الدول التي أخذت بها لا تلتزم بها بكاملها، خاصة وأن هذه الاتفاقيات رضائية أي تخضع من حيث الالتزام بها إلى إرادة الأطراف الموقعين عليها، فلا يوجد ما يجبرهم على احترامها، لغياب السلطة التي تسهر على تطبيق قواعد وأحكام القانون الدولي كما هو الحال في القانون الداخلي لتلك الدول. كما أن الضوابط الواردة في هذه الاتفاقيات وغيرها من قواعد وأحكام القانون الدولي الإنساني لم تصل بعد ـ لا في درجتها ولا رقيها ـ إلى المستوى الذي وصلت إليه الشريعة الإسلامية المستمدة من رب العالمين والتي نتعبد لله بتنفيذ كافة بنودها، ولذا نجد أن قواعد الإسلام يلتزم بها كل المسلمين خلفاء وقادة وجنود، وليس أدل على ذلك من أن الخليفة عمر بن الخطاب عزل قائد جيوشه خالد ابن الوليد بالرغم من كثرة الانتصارات العظيمة التي حققها، وقال (إن سيف خالد فيه رهق) أي أن سبب عزله كثرة القتل. وقد أخذ القانون الدولي الوضعي حقبة طويلة جدا من الزمن وأجريت عليه التغييرات المتتالية حتى وصل إلى بعض المبادئ السامية التي وصل إليها الإسلام منذ عدة قرون، فقد كان القانون الدولي لا يطبق الضوابط التي وصل إليها في القرن العشرين على كافة النزاعات المسلحة، حيث كان يشترط شروطا معينة حتى يطبق القانون الدولي على هذه الحروب، منها وجوب إعلان الحرب من قبل الدول رسميا، وأن تكون هذه الحرب بين دول يعترف بها القانون الدولي، وأن يشنها أمير البلاد، والحرب التي تفقد شرطا من هذه الشروط تخرج من نطاق القانون الدولي ولا تخضع لأحكامه وقواعده، مما جعلها أكثر شراسة من غيرها. ثم اختزل القانون الدولي هذه الشروط إلى شرط واحد للتدخل وهو قيام هذا النزاع المسلح بين دولتين أو حتى داخل الدولة الواحدة.

ومن سلبيات القانون الدولي أيضا أنه أعطى الدول الحق في استعمال كافة الوسائل التي تُنهي على الخصم ولم يضع إلا القليل النادر من الضوابط والتي بدورها لم تحترم من كافة الدول، فكان كل شيء مباح في الحرب. كما أن القانون الدولي لم يُخضع النزاعات المسلحة الداخلية (غير ذات الطابع الدولي) إلى التنظيم إلا في القرن العشرين، وحتى هذه الضوابط لم تصل إلى الضوابط الواردة في الشريعة الإسلامية. ولم يحرم القانون الدولي المعاصر صراحة الحرب إلا في ميثاق الأمم المتحدة في نص المادة (٤/٢) التي نصت على أن (يمتنع أعضاء الهيئة عن التهديد باستخدام القوة أو استخدامها ضد سلامة الأراضي أو الاستقلال السياسي لأية دولة أو على أي وجه آخر لا يتفق ومقاصد الأمم المتحدة)، وقد مر قانون تحريم الحرب في القانون الدولي بمسيرة طويلة جدا، ذاقت خلالها البشرية أهوالاً يعجز عنها الوصف، فانتقل من الإباحة إلى التقييد ثم التحريم بفضل المادة (٤/٢) من ميثاق الأمم المتحدة.

والحرب الدفاعية التي أقرها الإسلام، لم يصل إليها القانون الدولي إلا من خلال ميثاق الأمم المتحدة في المادة (٥١) والتي نصت على أن (ليس في هذا الميثاق ما يضعف أو ينتقص الحق الطبيعي للدول، فرادى أو جماعات، في الدفاع عن أنفسهم إذا اعتدت قوة مسلحة على أحد أعضاء (الأمم المتحدة) وذلك إلى أن يتخذ مجلس الأمن التدابير اللازمة لحفظ السلم والأمن الدولي، والتدابير التي اتخذها الأعضاء استعمالا لحق الدفاع عن النفس تبلغ إلى المجلس فورا، ولا تؤثر تلك التدابير بأي حال فيما للمجلس ـ بمقتضى سلطته ومسؤولياته المستمدة من أحكام هذا الميثاق ـ من الحق في أن يتخذ في أي وقت ما يرى ضرورة لاتخاذه من الأعمال لحفظ السلم والأمن الدولي أو إعادته إلى نصابه).

أما الحرب الجماعية (الدفاع الشرعي الجماعي) ضد المعتدي فلم يعرفها القانون الدولي إلا من خلال ميثاق الأمم المتحدة والتي نص عليها في ثنايا مواده خاصة المادة (٥١) والفصل السابع من الميثاق. أما الشريعة الإسلامية فقد عرفت هذا النظام (الدفاع الشرعي الجماعي) منذ أكثر من أربعة عشر قرنا من الزمان في قول الله (وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت أحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله).

وكما تأخر القانون الدولي في تنظيم قواعد الحرب فقد تأخر في إعلان حق الحياة لكل إنسان، والذي يعتبر الحق الأساسي للإنسان، والذي بدونه تصبح الحقوق الأخرى سرابا ومجرد أوهام، ولذلك فقد أفردت له القوانين الوضعية، نصوصا قانونية أصبغت عليه حماية قانونية دولية، ومن هنا كان وصف الحق في الحياة بالحق الطبيعي أو الأساسي، الذي لا يجوز التنازل عنه، وهو أسمى من القوانين الوضعية، لأنه هبة الله سبحانه وتعالى لبني البشر، وأساس استمرار الحياة على الكرة الأرضية.

وقد أحاط القانون الحياة الإنسانية بالحماية من اللحظات الأولى للإنسان إلى مماته، كما تمتد إلى أعضاء الإنسان، لأن الاعتداء عليها يحمل معنى تعطيل حياة الإنسان جزئيا أو كليا، وأيا كان الاعتداء على حياة الإنسان، فهو محل للتأثيم من قبل القانون سواء تطاول الفعل إلى إزهاق روح أو تسبب عاهة أو في جرح أو أثر ضار وسواء أكان الفعل عن قصد أو غير قصد، علما بأن الحق في الحياة يشمل السلامة الجسدية والسلامة المعنوية وهي حسن المعاملة وعدم استعمال العنف ضد البشر وعدم سلبهم أو التعرض لشرفهم ودينهم أو معتقداتهم أو تراثهم أو إرهابهم والغدر بهم أو تعريض سلامتهم للخطر.

وكان من نتائج تزايد الاهتمام بهذا الحق نشوء فرع القانون الدولي لحقوق الإنسان، والمختص بدراسة كافة حقوق الإنسان وقت السلم، وصدرت العديد من المواثيق والإعلانات والاتفاقيات تنص على حماية الحق في الحياة، أهمها المادة الثالثة من الإعلان العالمي لحقوق الإنسان لعام ١٩٤٨ التي نصت على (لكل فرد الحق في الحياة والحرية وسلامة شخصه) والمادة الخامسة من ذات الإعلان التي نصت على (لا يتعرض أي إنسان للتعذيب ولا للعقوبات أو المعاملات القاسية أو الوحشية أو الحاطة بالكرامة).

ونص على حق الحياة أيضا في المادة السادسة الفقرة الأولي من العهد الدولي الخاص بالحقوق المدنية والسياسية لعام ١٩٦٦م، التي نصت على (لكل إنسان الحق الطبيعي في الحياة. ويحمي القانون هذا الحق. ولا يجوز حرمان أي فرد من حياته بشكل تعسفي.)، والمادة السادسة من اتفاقية حقوق الطفل لعام ١٩٨٩، والمادة الأولى من الإعلان الدولي بشأن حماية النساء والأطفال في حالات الطوارئ والمنازعات المسلحة لعام ١٩٧٤، واتفاقية مناهضة التعذيب وغيره من ضروب المعاملة أو العقوبة القاسية أو اللا إنسانية أو المهينة لعام ١٩٨٤، والمادة الثالثة من المدونة الخاصة لقواعد سلوك الموظفين المكلفين بإنفاذ القوانين ١٩٧٩م.

وهناك أيضا عدة مواثيق واتفاقيات إقليمية لحقوق الإنسان والتي فرضت حماية قوية للحق في الحياة، منها الميثاق العربي لحقوق الإنسان لعام ١٩٤٥م المادة الثالثة، وكذلك الميثاق العربي لحقوق الإنسان لعام ١٩٩٧م في المادة الخامسة، والميثاق الإفريقي لحقوق الإنسان والشعوب لعام ١٩٧٩م في المادة الرابعة، والاتفاقية الأوربية لحقوق الإنسان لعام ١٩٥٠م في المادة الثانية الفقرة الأولي بالقسم الأول منها، والإعلان الأمريكي لحقوق وواجبات الإنسان الصادر عن منظمة الدول الأمريكية بالقرار رقم (٣٠) الصادر في المؤتمر التاسع للدول الأمريكية عام ١٩٤٨م في المادة الأولي منه. وتقضي هذه المواد بمجملها بعدم حرمان أي إنسان من حياته بشكل تعسفي، أو تعريضه للتعذيب أو المعاملة أو العقوبة القاسية أو اللا إنسانية أو الحاطة بالكرامة.

الخاتمة

تناولنا في الصفحات السابقة قواعد الحرب في الشريعة الإسلامية والقانون الدولي كدراسة مقارنة في بندين، الأول خصصناه لقواعد الحرب في الشريعة الإسلامية، وأوردنا رأي أغلب وأهم مفكري الغرب الذين أقروا بأسبقية وفضل الإسلام على الحضارة الغربية خاصة في مجال القانون الدولي وخاصة قواعد الحرب. أما في البند الثاني فتناولنا قواعد الحرب في القانون الدولي الوضعي المعاصر، ورأينا أن الحرب في القانون الدولي مرت بعدة مراحل من الإباحة المطلقة إلى التقييد ثم إلى الحظر في المادة (٤/٢) من ميثاق الأمم المتحدة، وبينا أن القانون الدولي الوضعي لم يعرف القانون الدولي الإنساني إلا في القرن الثامن عشر والتاسع عشر من خلال اتفاقيات لاهاي لعام ١٨٩٩م وعام ١٩٠٧م ثم اتفاقيات جنيف الأربعة والبروتوكولين الإضافيين لهم لعام ١٩٧٧م وما تلاها من اتفاقيات في القرنين العشرين وقرننا الحالي.

وبالمقارنة بين قواعد الحرب في الشريعة الإسلامية وفي القانون الدولي الوضعي يتضح الآتي:

١. قواعد الحرب في الشريعة الإسلامية أسبق في الظهور وأكمل في القواعد والمبادئ والأحكام منها في القانون الدولي الوضعي، فقد عرفت الشريعة الإسلامية التفرقة بين المقاتلين وغير المقاتلين والأهداف العسكرية والأعيان المدنية.

قواعد القانون المعاصر قاصرة في المضمون والإجراءات

٢. تمتاز قواعد الحرب في الشريعة الإسلامية بوجود عنصر الإلزام الذي تفتقر إليه قواعد القانون الدولي الوضعي، فهي في الشريعة الإسلامية عبادة يتقرب بها المسلم إلى ربه، أما في القانون الدولي فآليات المتابعة والمراقبة ضعيفة لا تكاد تشعر بها لأنها بيد الدول ولا يلزمها سوى أخلاقيات ورضاء الدول وهو منعدم في العديد من الحالات، مما جعل قواعد القانون الوضعي ورقية أو نظرية أكثر منها عملية بينما الوضع عكس ذلك تماما في الشريعة الإسلامية.

٣. عرفت الشريعة الإسلامية الدفاع الشرعي بصورة دقيقة وموضوعية أفضل من القانون الدولي الوضعي.

٤. أقر الإسلام قبل القانون الدولي الوضعي ضرورة الأخذ بالوسائل السلمية لحل المنازعات الدولية.

٥. عرف الإسلام الدفاع الشرعي الجماعي قبل القانون الدولي الوضعي، كما عرف الإسلام حقوق الإنسان والتفرقة بينها في زمن النزاعات المسلحة ووقت السلم، وهناك العديد من الوثائق الإسلامية التي تؤكد ذلك.

ومما سبق يتبين مدى الإعجاز التشريعي والتقدم التشريعي للشريعة الإسلامية من حيث الصياغة، فتتميز الشريعة الإسلامية عن التشريع الوضعي في كل من الشكل (الإجراءات) والموضوع (المضمون)، أما القواعد الواردة في القانون الدولي المعاصر فقاصرة من حيث المضمون والإجراءات، مما يدحض ادعاءات الغرب في أن الإسلام دين الإرهاب، ويبين أسبقية الإسلام على القانون الدولي الوضعي في تنظيم قواعد الحرب، كما يبين أفضلية الإسلام على القانون الدولي الوضعي من حيث عنصر الإلزام المتمثل في اعتبار قواعد الحرب في الإسلام عبادة نتقرب بها إلى الله، كما أن القانون الإسلامي أعم وأشمل في المفهوم والمضمون، ولذا فهو الصالح لكل زمان ومكان.

المراجع:

١. الأستاذ/ أنور الجندي، سموم الاستشراق والمستشرقون في العلوم الإسلامية، الطبعة الثانية، مكتبة التراث الإسلامي، القاهرة،١٩٨٥م.،

٢. المستشار/ علي علي منصور، الشريعة الإسلامية والقانون الدولي العام، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، ١٩٦٥م.

٣. الدكتور/ صلاح الدين عامر، مقدمة لدراسة قانون النزاعات المسلحة، دار النهضة العربية، عام ١٩٩٥م.

٤. دكتورة/ خديجة النبراوي، موسوعة أصول الفكر السياسي والاجتماعي والاقتصادي من نبع السنة الشريفة وهي الخلفاء الراشدين، دار السلام للطبع والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، ٢٠٠٤، الجزء الخامس، ص٣٠٩٤، ٣٠٩٥. (أحكام الجهاد من ص ٢٨٣١- ٣١٣٠ نهاية الجزء الخامس يوجد فيه كافة أسانيد الجهاد من الكتاب والسنة وهدي الخلفاء الراشدين).

٥. راجع للمؤلف كتاب نصوص المواثيق والإعلانات والاتفاقيات لحقوق الإنسان، دار ايتراك للطباعة والنشر والتوزيع القاهرة، ٢٠٠٥م.

٦. الدكتور/ على يوسف الشكري، حقوق الإنسان في ظل العولمة، دار ايتراك للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٦م.

٧. راجع للمؤلف كتاب مستقبل الحروب دراسات ووثائق، دار مصر العربية، القاهرة، ٢٠٠٩م.

8. John Dugard, Keynote Address International Law, Israel and Palestine, Conference on Israel and the International Law, Al-Zaytiuna Centre for Studies & Consultations, Beirut- Lebanon, 4- 5 November 2009.

٩. فضيلة الشيخ محمد أبو زهرة، حقوق الأسرى في الإسلام، القاهرة، ٢٠٠٥

١٠. الدكتور/زكريا حسين عزمي، من نظرية الحرب إلى نظرية النزاع المسلح، دراسة في حماية المدنيين في النزاعات المسلحة، رسالة دكتوراه، حقوق القاهرة ١٩٧٨م.

١١. الدكتور/رقية عواشرية، حماية المدنيين في النزاعات المسلحة غير ذات الطابع الدولي، رسالة دكتوراه، حقوق عين شمس ٢٠٠٢م.

١٢. الدكتورة/ أيناس أحمد سامي عبد العظيم الصادق، تطبيق القانون الدولي الإنساني على المنازعات المسلحة غير الدولية، دراسة مقارنة بالشريعة الإسلامية، رسالة دكتوراه كليه الحقوق، جامعة الزقازيق، ٢٠١٠م.

١٣. الدكتورة/ رنا عطا الله عبد العزيز عطا الله، الدفاع الشرعي الوقائي وفقا لقواعد القانون الدولي العام، رسالة دكتوراه، كلية الحقوق، جامعة الزقازيق، ٢٠٠٩م، ص:١٥٤.

١٤. الدكتور / حمادة محمد سليم، الحرب العادلة في القانون الدولي، رسالة دكتوراه، كلية الحقوق، جامعة الزقازيق، ٢٠٠٩م.

١٥. راجع للمؤلف، نصوص المواثيق والإعلانات والاتفاقيات لحقوق الإنسان، دار ايتراك للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٥م.

١٦. الدكتور/ على يوسف الشكري، حقوق الإنسان في ظل العولمة، دار ايتراك للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، عام ٢٠٠٦م.

17. http://kabreet.egypty.com/issue14/article7.asp

١٨. للمؤلف، النظرية العامة للأحلاف العسكرية، دار ايتراك للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، الباب الأول، ٢٠٠٥م، رسالة الدكتوراه، حقوق الزقازيق، ٢٠٠٥م.

١٩. وكتاب المؤلف الأحلاف والتكتلات العسكرية وفقا لقواعد القانون الدولي العام، مركز دراسات الوحدة العربية، مارس، ٢٠١٠م.



لماذا وكيف أسلمت؟

إسلام داعية استرالي بعد تأثره بالإعجاز العلمي في القرآن الكريم

في سن السابعة عشرة بدأت بعض الأسئلة تلح على فكره بشأن الدين، بحث وقرأ الكثير من الكتب حتى وصل إلى القرآن الكريم، وبعد مرور تسع سنوات أصبح داعية إسلامياً.. ويعمل حاليا بقناة اقرأ الدولية التي توجه بثها باللغة الإنجليزية للمسلمين في شمال أمريكا وآسيا وأستراليا، حيث يقدم برنامجاً اسمه (اسأل الشيخ) والذي يجيب عن أسئلة من يدخلون الإسلام في الغرب، إنه الداعية الأسترالي موسى تشيرانتونيو الذي حاورته صفحة الفكر الديني خلال زيارته القصيرة للقاهرة بعد أدائه فريضة الحج.. وطرحت عليه الأسئلة التالية:

حدثنا عن حياتك قبل الإسلام وبعده؟

لقد ولدت وعشت حياتي كلها في استراليا. أبي من أصول إيطالية وأمي من أصول إيرلندية، وفي عمر الشباب بدأت بعض الأسئلة تلح على عقلي بشأن الدين، وبدأت أقرأ عن الإسلام وأتعرف عليه ليس لأعتنقه ولكن لأجادل أحد أصدقائي وهو مسلم من البوسنة وكان دائما يقول بأن الإسلام هو أفضل دين في هذا العالم، وعندما بدأت أقرأ عن الإسلام، وجدت قواسم مشتركة بين المسيحية والإسلام فالمسلم يؤمن بالله ويؤمن بعيسى ونوح وإبراهيم وموسى، ولم أجد أي اختلافات بين ما أؤمن به والإسلام سوى شيئين: محمد ﷺ والقرآن الكريم، وعندما بدأت أدرس الإسلام كنت أظن أني لن أجد فيه شيئا صحيحا أو عقلانيا، فكيف يمكن لدين يؤمن به الصوماليون والأفغان والعرب الذين يعيشون في الصحراء أن يكون صحيحا؟

ولكني وجدت كل ما يدعو له الإسلام صحيحا ويتفق مع العقل؟

غير أني لم أنجذب للإسلام إلا عندما قرأت عن الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، فمعجزات القرآن العلمية أخذت بلبي وأسرتني ودفعتني لكي أعتنق الإسلام، وفي الحقيقة لم أنجذب للإسلام بسبب دعوته للأخلاق وحسن المعاملة لأن كل الأديان تدعو لذلك، هو أمر سهل يمكن أن يدعيه أي شخص، كما يضع كل مؤلف توقيعه على كتابه ففي رأيي آيات الإعجاز العلمي هي بمثابة توقيع الله ودليل على أن القرآن الكريم من الله وليس من محمد.

عندما اعتنقت الإسلام كان عمري ١٧ عاما، واليوم عمري ٢٦ سنة، في ذلك الحين كنت في السنة الأخيرة من الدراسة الثانوية، وعندما أسلمت كنت أخصص نصف وقتي لدراسة الإسلام والنصف الآخر لدراستي الثانوية.. فقبل إسلامي كنت مثل كل الشباب في وطني لدي صديقة وكنت أشرب الخمر، واستغرق الأمر مني عاما كاملا حتى أتغير تماما وتركت صديقتي - رغم أني كنت أحبها كثيراً - لأنها رفضت اعتناق الإسلام وتوقفت عن شرب الخمر وأكل لحم الخنزير وبدأت أحرص على تناول اللحم الحلال بل وواظبت على الصلوات الخمس كاملة وفي موعدها رغم أن أصدقائي المسلمين للأسف لم يكونوا يصلون.

وماذا عن رد فعل والديك؟

في الحقيقة كتمت عنهما خبر إسلامي لبعض الوقت، ولكنهما لاحظا ذلك من تغير تصرفاتي ومن بعض سلوكياتي فمثلا تعجبا من قراءتي للقرآن، والدين لكثير

وجدت كل ما يدعو له الإسلام صحيحاً ويتفق مع العقل

◆ ◆ ◆

أتمنى دراسة أصول الفقه والشريعة الإسلامية في الأزهر

من الغربيين والأستراليين مجرد جزء من الثقافة فهم ليسوا متدينين فعلا، فمثلا جدتي سألتني لماذا أصبحت تركيا، لأنها تعتقد أن الإسلام جزء من الثقافة التركية.

ثم جاء وقت طلبت فيه من والدتي أن تطهو لي اللحم الحلال فقط، فقالت ساعتها لن أدخل اللحم الحلال منزلي أبدا، والآن هي تطهو اللحم الحلال في كل يوم.

فعندما أدركوا كم غير الإسلام شخصيتي للأفضل وأني سعيد وأني لا أشرب الخمر وأني لا أثير المتاعب بدؤوا يتقبلون الأمر..

وماذا عن رد فعل زملائك في المدرسة؟

كلهم كانوا سعداء من أجلي، لدرجة أن أعز أصدقائي اعتنق الإسلام بعد أسبوعين بعد أن حدثته عن الإسلام وأعطيته كتبا ليقرأها عن الإسلام..

أما المعلمون فقد لاحظوا تغيرا بارزا في شخصيتي، وقال لي أحد أساتذتي:

لقد تغيرت كثيرا، فبعد أن كنت مشاغبا في الماضي كثير المشاكل أصبحت مهذبا للغاية وتغيرت شخصيتك، حتى طريقتك في الكلام تغيرت.

كيف ترد على اتهام الغرب للإسلام والمسلمين بالإرهاب؟

عندما وقعت أحداث سبتمبر لم أكن مسلما بعد، ولكني شعرت بالسعادة بعض الشيء، لأن أحدهم نجح وضرب أمريكا، ولكن عندما اعتنقت الإسلام شعرت بمدى بشاعة هذا العمل، فالإسلام يمنعني من قتل الأبرياء، ويعلمني الصواب من الخطأ.

أتذكر أن أحدهم قال لي ذات مرة: كل المسلمين إرهابيون، فسألته كل المسلمين حتى السيدة العجوز في الشارع، فتعجبت وسألته ما هي أدلتك؟ انظر إلى التاريخ، تاريخ الأندلس حيث عاش المسلمون والنصارى في دولة واحدة أو أنظر إلى صلاح الدين الأيوبي الذي عامل المسيحيين بالعدل والإحسان، إذا تأملنا تاريخ الإسلام سنجده أنه حافل بالعدل والإحسان للأديان الأخرى، إذن ليس معنى أن أحد المسلمين ارتكب خطأ أن نظن أن كل المسلمين كذلك.

ولكن يحضرني هنا دور الأزهر الشريف في تغيير صورة الإسلام والمسلمين في الغرب، وكم أتمنى دراسة أصول الفقه والشريعة الإسلامية في الأزهر.

كيف اختلف شعورك بالحرية قبل وبعد اعتناقك للإسلام؟ هل قيد الإسلام حريتك؟

قبل اعتناقي الإسلام كان عقلي يردد السؤال حول المنهج الصحيح للحرية، هل هي الشيوعية الماركسية؟، وبدراستي لهذه الأيديولوجيات الفكرية وجدت أن كلا منها له قواعد تخبرك بما تفعله، وما لا تفعله. لا توجد حرية مطلقة لدى أي مذهب سياسي أو ديني أو فكري، حتى الفوضويون الذين ينادون بالحرية المطلقة لديهم قواعد.

القاسم المشترك بين كل هؤلاء أنه لا توجد حرية مطلقة في اتباع الشهوات والنزوات والغرائز، فلابد من وجود نظام، والسؤال الذي ينبغي أن يطرحه كل إنسان: ما هو النظام الصواب أو الصحيح؟ باعتباري مسلما أرى أن الإسلام هو النظام القويم لتنظيم الحريات الشخصية والعامة، فهو يعطيك لكل شيء سببا وتبريرا، لقد وجدت الحرية الحقيقية مع الإسلام، ألا وهي حرية القلب والعقل. أي سؤال يخطر على بالي حول هذا الوجود أجد إجابته الصحيحة في الإسلام. فور اعتناقك للإسلام تصبح حرا من التوتر والقلق. قلبك ليس مشتتا وراء الدنيا، فأنت تملك جماع قلبك وعقلك. فالإسلام يخبرنا أن ابن آدم لن يكون سعيدا بالمال فقط، فلو أعطي واديا من الذهب سيتطلع للثاني وهكذا.

عندما تصلي تشعر بالسلام والطمأنينة والحرية، حيث تزول كل مخاوفك، فالمسلم يملك حرية حقيقية لأنه يملك تصورا صحيحا لهذا العالم ورؤية واضحة لسر وجوده وما هو مقبل عليه بعد الموت، فرق كبير بين السير في نفق مظلم لا تدري أين ينتهي والسير في نفق مضيء تعلم ما الذي ينتظرك في نهايته.



الطيب علاج ووقاية من الأمراض النفسية والعضوية

د. منال جلال محمد عبدالوهاب *

النصوص المعجزة:

قال الله تعالى: ﴿خِتَامه مِسْك .. ﴾ (المطففين: ٢٦)

المسك أطيب الطيب: روى النسائي في السنن الكبرى بسنده عن أبي سعيد قال ذكر النبي ﷺ امرأة حشت خاتمها بالمسك فقال وهو أطيب الطيب، وقال الله تعالى في نعيم الجنة: ﴿فروح وريحان وجنة نعيم﴾ (الواقعة: ٨٩)، الريحان نبات معروف طيب الرائحة وعممه ابن القيم فقال: كل نبت طيب الريح؛ وعرف ابن قدامة الطيب فقال في المغني: الطيب ما تطيب رائحته ويتخذ للشم، كالمسك، والعنبر والكافور، والغالية، والزعفران، وماء الورد، والأدهان المطيبة كدهن البنفسج ونحوه.

والتطيب وشم الروائح الذكية من هدي النبي ﷺ داوم عليه وحث أمته على تطبيقه: روى أبو داود بسنده عن أنس ابن مالك قال: كانت للنبي ﷺ سكة يتطيب منها. وأخرج البخاري ومسلم عن أبي سعيد الخدري أن النبي ﷺ قال: إن لله حقا علي كل مسلم أن يغتسل في كل سبعة أيام، وان كان له طيب أن يمس منه.

الحقائق العلمية في النصوص:

يسبب شم الروائح الطيبة مثل الريحان أو المسك أو أنواع الطيب الأخرى إثارة مستقبلات الشم التي تنتهي في جهاز اللمبك (الحوفي) الذي يتداخل معه نهايات مسارات الشم بالقشرة الشمية في المخ The entorhinal cortex وتشكل جزءا منه، فيفرز به ببتيدات عصبية neuropeptide وموصلات كيمائية عصبية Standring et al. 2005 تؤثر بطريقة هائلة في وظائف الجسم و في السلوك Abel Lajtha 2007, (المراجع: ١، ١٩)

ويتم افراز الببتيدات العصبية التالية في الجهاز اللمبي: جلوتامات وأسبرتات جابا Glutamate وGABA aspartate وهي مهدئات وتعالج الصرع، كما ثبت إفراز أنواع من المركبات المزيلة للألم ومنها: دينورفين والإنكفالين (dynorphin, inkephalin) إضافة لإفراز مركبات مضادة للإكتئاب مثل: مونوأمين والنور

* قسم التشريح . طب البنات . جامعة الأزهر
عضو لجنة الأبحاث العلمية بالهيئة العالمية للإعجاز العلمي

أدرينالين monoamine noradrenaline، كما يفرز أيضا ببتيد عصبي جالب للسعادة والسرور وهو:السيروتينين دوبا serotonin DOPA، وقد ثبت أن في الأمراض النفسية تفرز الببتيدات العصبية والموصلات الكيمائية (2004 Greenstein) مثل الأستيل كولين والنور إبينفرين والنور أدرينالين والتربتامين والسيروتينين وغيرها Acetylel choline (Ach), GABA, norepinepherin monoaminergic, noradrenalinem .5-H tryptamine (5 - HT) serotonin

كما يلاحظ أن الببتيدات العصبية والموصلات الكيمائية التي تفرز من تهيج مستقبلات الرائحة عند شم الطيب نتيجة إثارة جهاز اللمبك هي نفسها الببتيدات العصبية التي تؤثر في الأمراض النفسية وعليه يمكن أن يكون شم الطيب علاجا ووقاية من الأمراض النفسية.

إفراز الاكسيتوسين Oxytocin

يتم نتيجة شم الطيب أو الريحان إثارة جهاز اللمبك في الدماغ الذي يؤدي تهيجه لإثارة غدة ماتحت المهاد والتي بدورها تثير الغدة النخامية فتفرز من فصها الخلفي مركب الاكسيتوسين والذي يعتبر موصل عصبي هام ويؤدي ذلك إلى إفرازه في أماكن أخري في الجسم حيث يفرز في العين والمبيض والخصية والبروستات والغدة فوق الكلوية. ويسمي الاكسيتوسين هرمون الابتسام ويحسن جميع مستويات الوظائف الجنسية.

كما ثبت أن الاكسيتوسين يقلل التوتر ويربط بين الأفراد اجتماعيا لذلك يسمي الاكسيتوسين أيضا هرمون الحب، هرمون الثقة، هرمون الترابط الفائق، والانتماء وهرمون العاطفة Hurlemann (2010)، ويقلل الخوف Kirsch etal (2005)، ويسهم في إدراك التعبيرات الوجهية الايجابية كما يسبب الترابط بين الام ، والوليد ويجلب الاكسيتوسين السعادة للأم لأنه يفرز أثناء الرضاعة نتيجة ملامسة وحضن الرضيع ومص الثدي Marsh Zak etal (2010). (Nelson1998) (2005) etal., (لمراجع ١١، ١٤، ١٦، ٢٢)

لذلك يمكن أن يكون شم الطيب والريحان يقي ويعالج الأمراض النفسية والعقلية ويهذب السلوك نتيجة لرفع مستوي الاكسيتوسين والاستروجين، كما أثبتت الأبحاث مؤخرا إمكانية استخدام الاكسيتوسين لعلاج التوحد Hollande et al., (2006) والأمراض والاضطرابات النفسية Epperson 1996 والاكتئاب والسلوك العدواني Pincus et al., 2010 كما لوحظ أن الاكسيتوسين يحسن الوظائف العقلية Domes etal 2007

ومن خلال العرض السابق فإن شم الطيب والريحان يثير مستقبلات الشم والجهاز اللمبي، وغدة ما تحت المهاد، والغدة النخامية التي تفرز الاكسيتوسين فيرتفع مستوي الأكسيتوسن في المخ والجسم؛ لذلك يمكن أن يكون شم الطيب والريحان يعالج تلك الأمراض سالفة الذكر، إضافة للاضطرابات النفسية الأخرى مثل: الوسواس القهري والنحافة العصبية والقلق وآثار تناول المخدرات والانفصام والتوحد ويحتاج لمزيد من الأبحاث التجريبية (المراجع ٤، ٥، ١٠، ١٧)

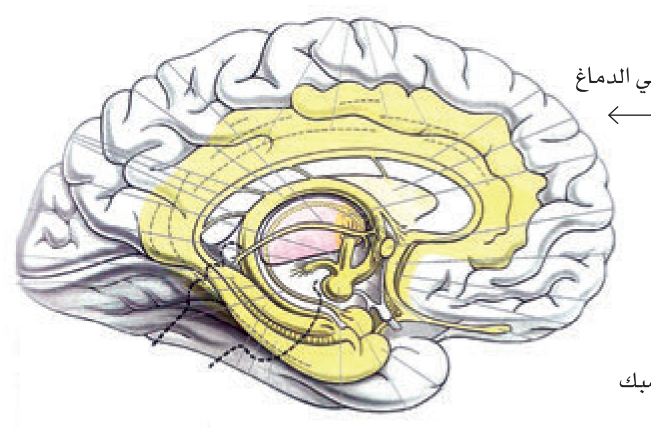
كما أثبت الباحثون 2006 Bell, Kirsch etal, (2005) Mayberg etal, (1999) أن نشاط جهاز اللمبك يتغير مع المزاج السلبي والاكتئاب، ولوحظ نقص كمية الأكسيتوسين في حالات الاكتئاب والخوف والغضب والتوتر والضغوط النفسية وعدم التواصل مع الأخرين (sperff etal 1989). فشم الطيب والريحان يزيد من إفراز الغدة النخامية للاكسيتوسين نتيجة اثارة مستقبلات الشم والجهاز اللمبي؛ لذلك يمكن أن يكون الطيب والريحان علاجا ووقاية من الإكتئاب.

كما أثبتت الأبحاث الحديثة أن إثارة جهاز اللمبك بشم الطيب والريحان وأنواع الروائح الطيبة تؤدي إلى إثارة غدة ما تحت المهاد الذي تثير الغدة النخامية فتفرز الهرمون المنشط للغدد الجنسية GnTH فيحفز المبيض لإفراز هرمون الاستروجين في المرأة، ويحفز الخصيتين لإفراز هرمون التستستيرون في الرجل، والذي يمكن أن يتحول جزء منه لأستروجين، وقد ثبت أن الاستروجين يعدل المزاج والحالة النفسية والسلوك العدواني حيث يؤثر علي مستقبلات الاستروجين في جهاز اللمبك وغدة ما تحت المهاد (المراجع: ١٢،٢، ١٥) كما ثبت أن استنشاق الستيرويد وهو يتوفر في المسك Sokolov etal., 1987، يعدل المزاج، والذاكرة ويؤثر في وظائف الجهاز العصبي الذاتي لذلك يمكن أن يقي الإستروجين ويعالج من بعض الأمراض مثل الزهيمر والشلل الرعاش وأمراض الشيخوخة وتآكل الأعصاب (المراجع ٣، ٢٠)

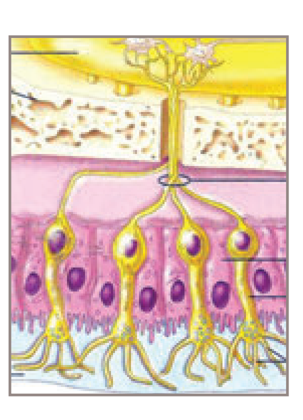
وجه الإعجاز:

مبالغة الرسول ﷺ بالتطيب والتأكيد عليه كل أسبوع والأمر بعدم رده، وحث أمته عليه؛ دليل على أهميته ومنفعته للناس.

وقد أثبتت الأبحاث العلمية الفوائد المحققة لشم الروائح الطيبة حيث تثير جهاز اللمبك في الدماغ فتفرز مركبات هامة كالبيبتيدات والموصلات العصبية والأوكسيتوسين والهرمونات الجنسية والتي لها تأثير عظيم علي وظائف الجسم المختلفة،



جهاز اللمبك باللون الأصفر في الدماغ



تنتقل الروائح عبر الموصلات العصبية اللمبك

كما يمكن أن تكون وقاية وعلاج من أمراض خطيرة وشائعة مثل الإكتئاب والقلق والتوتر وكثير من الأمراض النفسية والعقلية والضعف الجنسي والسلوك العدواني.

كما ثبت أن المسك يحفظ عافية الجسم وتوازنه ويساعد في علاج الأمراض الناتجة من نقص الهرمونات الجنسية التي تؤثر علي الأعصاب كمرض الشلل الرعاش و الزهيمر والتصلب المتعدد ويمثل ذلك سبق للأحاديث النبوية في الحث على التطيب فيما يعرف بالعلاج بالروائح الطيبة (aroma therapy) والذي يمارس في الطب التكميلي كوسيلة علاجية لكثير من الأمراض.

References

1. Abel Lajtha and Dianna A. Johnson (2007): Handbook of Neurochemistry and Molecular Neurobiology Sensory Neurochemistry Springer Science+Business Media, LLC.
2. Bell C. (2006). Plasma oxytocin levels in depression and their correlation with the temperament dimension of reward dependence. J. Psychopharmacol. 20, 656-660. doi: 10.1177/0269881106060512
3. Bensafi M,Brown WM,Khan R,et al.,(2004)Sniffing human sex streroid derived copounds modulates mood,memory and autonomic nervous system function in specific behavioral contexts, Behav Brain Res 4: 152(1): 11-22.
4. Domes G., Heinrichs M., Michel A., Berger C., Herpertz S. (2007). Oxytocin improves "mind-reading" in humans. Biol. Psychiatry 61, 731-733. doi: 10.1016/j.biopsych.2006.07.015.
5. Epperson C. N., McDougle C. J., Price L. H. (1996a). Intranasal oxytocin in obsessive-compulsive disorder. Biol. Psychiatry 40, 547-549. doi: 10.1016/0006-3223(96)00120-5.
6. Hollander E Bartz J, Chaplin W, Phillips A, Sumner J, Soorya L,Anagnostou Wasserman S E 2006, Oxytocin increases retention of social cognition in autism Biol Psychiatry Feb 15;61(4):498-503. Epub 2006
7. Hurlemann R., Patin A., Onur O. A., Cohen M. X., Baumgartner T., Metzler S., Dziobek I., Gallinat J., Wagner M., Maier W., Kendrick K. M. (2010). Oxytocin enhances amygdala-dependent, socially reinforced learning and emotional empathy in humans. J. Neurosci. 30, 4999–5007. doi: 10.1523/JNEUROSCI.5538-09.2010.
8. Kirsch P., Esslinger C., Chen Q., Mier D., Lis S., Siddhanti S., Gruppe H., Mattay V. S., Gallhofer B., Meyer-Lindenberg A. (2005). Oxytocin modulates neural circuitry for social cognition and fear in humans. J. Neurosci. 25, 11489-11493. doi: 10.1523/JNEUROSCI.3984-05.2005.]
9. Kraft P, Fráter G 2001 Enantioselectivity of the musk odor sensation Chirality. Aug;13(8):388-94.
10. Marsh A. A., Yu H. H., Pine D. S., Blair R. J. (2010). Oxytocin improves specific recognition of positive facial expressions. Psychopharmacology (Berl) 209, 225-232. doi: 10.1007/s00213-010-1780-4.
11. Mayberg H. S., Liotti M., Brannan S. K., McGinnis S., Mahurin R. K., Jerabek P. A., Silva J. A., Tekell J. L., Martin C. C., Lancaster J. L., Fox P. T. (1999). Reciprocal limbic-cortical function and negative mood: converging PET findings in depression and normal sadness. Am. J Psychiatry 156, 675–682.
12. Nelson E. E., Panksepp J. (1998). Brain substrates of infant-mother attachment: contributions of opioids, oxytocin, and norepinephrine. Neurosci. Biobehav. Rev. 22, 437 - 452. doi: 10.1016/S0149-7634(97)00052-3.
13. Pincus, Kose, Arana, Johnson, Morgan, Borckardt, Herbsman, Hardaway, George, Panksepp and Nahas(2010) Inverse Effects of Oxytocin on Attributing Mental Activity to Others in Depressed and Healthy Subjects: A Double-Blind Placebo Controlled fMRI Study Front Psychiatr. 2010; 1: 134. Published online 2010 October 12. Prepublished online 2010 August 13. doi: 10.3389/fpsyt.2010.00134PMCID: PMC3059627
14. StandringS,Ellis H,Healy J C,Johnson D,Williams A., (2005): Grays Anatomy Elsevier Churchill Livingstone th 39 Ed
15. Sokolov V. E., Kagan M. Z., Vasilieva V. S., Prihodko V. I. and Zinkevich E. P.(1987) Musk deer (Moschus moschiferus): Reinvestigation of main lipid components from preputial gland secretion of Chemical Ecology (Volume 13, Number 1 / January,
16. Zak P. J., Kurzban R., Matzner W. T. (2005). Oxytocin is associated with human trustworthiness. Horm. Behav. 48, 522–527. doi: 10.1016/j.yhbeh.2005.07.009.

المسح على رأس اليتيم



د. مها يوسف جار الله*

* كلية الشريعة والدراسات الإسلامية - جامعة الكويت

الأحاديث الواردة في الموضوع

عن أبي هريرة رضى الله عنه أن رجلاً شكا إلى النبي ﷺ قسوة قلبه فقال: «إن أردت أن يلين قلبك فأطعم المساكين وامسح رأس اليتيم»[١].

عن أبي الدرداء قال: أتى النبي ﷺ رجل يشكو قسوة قلبه قال: «أتحب أن يلين قلبك وتدرك حاجتك: ارحم اليتيم، وامسح رأسه، وأطعمه من طعامك يلين قلبك وتدرك حاجتك»[٢].

عن عبد الله بن جعفر قال: لو رأيتني وقُثم وعبيد الله ابني عباس ونحن صبيان نلعبُ إذ مر رسول الله ﷺ على دابة فقال: «ارفعوا هذا إلي»، فجعلني أمامه، ثم قال لقُثم: «ارفعوا هذا إلي»، فجعله وراءه، وكان عبيد الله أحب إلى عباس من قثم، فما استحى من عمه أن حمل قُثماً وتركه، قال: ثم مسح على رأسي ثلاثاً، وقال كلما مسح: «اللهم اخلف جعفراً في ولده»، قال: قلت لعبدالله: ما فعل قُثم؟ قال: استشهد، قلت: الله أعلم بالخير ورسوله بالخير، قال: أجل[٣].

المسح في اللغة

جاء في لسان العرب: المَسْحُ: إمرارك يدك على الشيء السائل أو المتلطخ تريد إذهابه بذلك كمسحك رأسك من الماء وجبينك من الرشح.

١. رواه أحمد في المسند،، والبيهقي في السنن: وحسنه الألباني.

٢. رواه الطبراني وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة برقم (٨٤٢).

٣. أخرجه أحمد في المسند، والنسائي في السنن الكبرى والحاكم في المستدرك وقال: صحيح، ووافقه الذهبي وإسناده حسن.

بالمسح يطمئن اليتيم ويرتاح جسده

ويقال: مسح رأسه أمرّ يده عليه، ومسح يده على رأس اليتيم[٤] على تضمين معنى أمرَّ وأما: (مسح برأسه)[٥]. فعلى القلب أو على طريق قوله تعالى: ﴿وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي﴾[٦].

والمسح إمرار اليد على الشيء وإزالة الأثر عنه وقد يستعمل في كل واحد منهما، والمسح في تعريف الشرع إمرار اليد مبتلة بلا تسييل[٧]. ويمكن أن نعرف اللمس، وإن لم يرد ذكره في الأحاديث الآنفة الذكر، وذلك لكثرة ورود هذا اللفظ في النظريات والدراسات العلمية التي سيتم الاستشهاد بها لاحقاً، ولبيان وجه التقارب بين كلا اللفظين.

فاللَّمس: هو الجسُّ، وقيل اللمس: المسُّ باليد، لَمسَه يَلْمِسُهُ ويَلْمُسُه لَمْساً ولامَسَه، وقال ابن الأعرابي: لَمَسْتُه لَمْساً ولامَسْتُهُ مُلامَسَة، ويفرق بينهما فيقال: اللمس قد يكون مس الشيء بالشيء ويكون معرفة الشيء وإن لم يكن ثم مس لجوهر على جوهر، والملامسة أكثر ما جاءت بين اثنين[٨].

واللمس قوة مثبتة في جميع البدن تدرك بها الحرارة والبرودة، والرطوبة واليبوسة، ونحوها عند الاتصال به.

وقال ابن دريد: أصل اللمس باليد ليعرف مس الشيء، ثم كثر حتى صار اللمس لكل طالب[٩].

قال ابن جني: ولابد مع اللمس من إمرار اليد وتحريكها على الملموس ولو كان حائل لاستوقفت به عنده[١٠].

ولم أجد من أصحاب اللغة من فرّق بين المسح واللمس، إلا أن تعريف كل منهما يختلف عن الآخر، حيث أدركت من خلال كلا التعريفين أن القاسم المشترك بينهما هو إمرار اليد على الملموس أو الممسوح، وأن اليد هي الأداة المهمة في المسح أو اللمس، وأما الفارق بينهما فهو أن المسح يكون مصحوباً بإزالة شيء، هذا ما لم يضمن معنى الإمرار، وأما اللمس فإنما يكون ليعرف اللين من الخشونة، والحرارة من البرودة، وكذلك أن اللمس من الممكن أن يتحقق بالأنامل بينما المسح لابد فيه من كف اليد.

وأما اليتم: الانفراد، واليتيم: الفرد، واليتم فقدان الأب حين الحاجة، ولذلك أثبته مثبت في الذكر إلى البلوغ، والأنثى إلى الثيوبة، لبقاء حاجتها بعد البلوغ.

وقال ابن السكيت: اليتم في الناس من قبل الأب. وفي البهائم من قبل الأم، ولا يقال من فقد الأم من الناس: يتيم ولكن مقطع[١١].

وقال المفضل: أصل اليتم الغفلة، وسمي اليتيم يتيماً ؛ لأنه تغافل عن بره، وقال أبو عمر: اليتم: الإبطاء، ومنه أخذ اليتم ؛ لأن البر يبطئ عنه. والأنثى يتيمة، وإذا بلغا زال عنهما اسم اليتم حقيقة، وقد يطلق عليهما مجازاً بعد البلوغ، كما كانوا يسمون النبي ﷺ وهو كبير «يتيم أبي طالب»؛ لأنه رباه بعد موت أبيه وفي الحديث: «تستأمر اليتيمة في نفسها، فإن سكتت فهو إذنها»[١٢]، أراد باليتيمة البكر البالغة التي مات أبوها قبل بلوغها فلزمها اسم اليتم فدعيت به وهي بالغة مجازاً[١٣].

واليتيم: هو المنفرد عن الأب ؛ لأن نفقته عليه لا على الأم، وفي البهائم اليتيم: هو المنفرد عن الأم ؛ لأن اللبن والأطعمة منها[١٤].

---

٤. محمود بن عمرو الزمخشري، أساس البلاغة، (٤٤٤/١)، المكتبة العصرية، بيروت.

٥. أبو الفتح ناصر الدين بن عبد السيد بن علي بن المطرز، المغرب في ترتيب المعرب، تحقيق: محمود فاخوري وعبد الحميد مختار، (٢٦٦/٢)، ط الأولى، ١٩٧٩ م ، مكتبة أسامة بن زيد، حلب.

٦. الأحقاف: ١٥.

٧. محمد عبد الرؤوف المناوي، التوقيف على مهمات التعاريف، تحقيق: د. محمد رضوان الداية، ص ٦٥٥، ط الأولى، ١٤١٠ هـ، دار الفكر المعاصر بيروت، دار الفكر، دمشق.

٨. لسان العرب (٢٠٩/٦).

٩. التوقيف في مهمات التعاريف، ص ٦٢٦.

١٠. أبو الفتح عثمان بن جني، الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار (١٣٨/٢)، عالم الكتب، بيروت.

١١. محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، أبو الفيض، الملقب بمرتضى، الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، (١٣٦/٢٤)، ١٩٩٤ م، دار الفكر، بيروت. أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي، المحكم والمحيط الأعظم، تحقيق: عبد الحميد هنداوي (٥٢٩/٩)، ٢٠٠٠ م، دار الكتب العلمية، بيروت.

١٢. رواه أحمد في المسند، كتاب مسند المدنيين، باب حديث أبي هريرة ح (٧٥١٩) ج (٣٠٩/٧)، إسناده صحيح، شرحه: أحمد شاكر، ط الأولى، ١٤١٦ هـ، ١٩٩٥ م، دار الحديث، القاهرة.

١٣. لسان العرب (٦٤٥/١٢).

١٤. محمد عبد الرؤوف المناوي، التوقيف على مهمات التعاريف، ص ٧٤٨، علي بن محمد بن علي الجرجاني، التعريفات، تحقيق: إبراهيم الأبياري، ص

فالحاصل من كل ما ذكرنا أن اسم اليتيم بحسب أصل اللغة يتناول الصغير والكبير، إلا أنه بحسب العرف مختص بالصغير[١٥].

طريقة المسح:

وقد ذكر العلماء طريقة المسح على رأس اليتيم، وهو أن يمسح رأسه من أعلاه إلى مقدمه وغيره بعكسه[١٦].

العلة في تخصيص الرأس بالمسح:

وخص الرأس بذلك؛ لأن في المسح عليه تعظيماً لصاحبه وشفقة عليه ومحبة وجبراً لخاطره، وهذه كلها مع اليتيم تقتضي هذا الثواب الجزيل[١٧]. وكذلك عظمة الإنسان في رأسه الذي يحوي معظم حواسه، وتفكيره ونظرته لمن حوله.وكما أن الرأس يحمل جميع المشاعر سواء الإيجابية أو السلبية، فعند المسح عليه يؤكد على تلك المشاعر الإيجابية فيه، ويطرد المشاعر السلبية عنه.

عموميته لكل يتيم:

وتلك الحركة الجميلة لليتيم عامة لكل الأيتام، سواء كان كافله أم لا، وكذلك سواء كان مسلماً أو غير مسلم. قال الطيبي: وهو عام في كل يتيم سواء كان عنده أو لا فيكرمه وهو كافله، أما إذا كان عنده فيلزمه أن يربيه تربية أبيه. وقال المناوي: وإطلاق الأخبار شامل لأيتام الكفار، ولم أر من خصها بالمسلم[١٨].

التربية بالتضاد:

والمسح على رأس اليتيم له دور كبير في تقويم الأخلاق وتهذيبها، قال المناوي: وفيه أن من ابتلي بداء من الأخلاق الذميمة يكون تداركه بما يضاده من الدواء، فالتكبر يداوى بالتواضع، والبخل بالسماحة، وقسوة القلب بالتعطف والرقة[١٩].

وهذا ما أشار إليه د. عبد الكريم زيدان، وأطلق عليه مسلك التضاد، أو المراغمة للشيطان؛ لأن الشيطان يفرح لكل خلق رديء ويعمل على بقائه في النفس ويزينه في عين صاحبه بما يلقيه من مبررات باطلة، فإذا قام الإنسان بعمل يناقض هذا الخلق ولا يتفق وما يقتضيه، كان ذلك بلا شك إغاظة للشيطان ومراغمة له، مما يدعوه إلى الكف عن تزيين هذا الخلق الرديء وعن نفث المبررات الباطلة له، فإذا خنث الشيطان أمكن لهذا العمل أن يزعزع كيان هذا الخلق الرديء أو يقضي عليه، كما يقضي العلاج الفعال على المرض[٢٠].

فالمعادلة خلق سيء يقاوم بخلق حسن يناقضه = إغاظة للشيطان.

تعزيز الخلق المناقض (الحسن) = القضاء على الخلق السيئ.

وتلك دعوة نبوية للعلاج بالتضاد لأي سلوك سيء أو قبيح يشتكي منه الإنسان إلى علاجه ومقاومته بالتوجه إلى فعل سلوك حسن يناقض السلوك القبيح.

المسح ينشط مسارات الطاقة لدى الإنسان

دراسات علمية عن أثر اللمس أو المسح

لا يختلف اثنان في أهمية اللمس في حياة الإنسان ونموه السليم، وعلاجه لكثير من الأمراض عن طريق لمس موضع الألم والمسح عليه، وكان هديه ﷺ ذلك، فعن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان يعوذ بعض أهله، يمسح بيده اليمنى ويقول: «اللهم رب الناس أذهب البأس اشفه أنت الشافي، لا شفاء إلا شفاؤك، شفاء لا يغادر سقماً»[٢١]، واتبعه صحابته الكرام ومن أتى بعدهم إلى يومنا هذا على تلك الطريقة.

وحاجة الإنسان إلى اللمس لا تقتصر على المرحلة الأولى من عمره، فكذلك يحتاج إليه الصبي والمراهق والزوج والزوجة والشيخ الكبير والأم العجوز... فالإنسان في حاجة ماسة للمس في جميع مراحل حياته، ومن أهميته اعتبر أحد الحواس الخمس الضرورية للإنسان.

٣٣١، ط الأولى، ١٤٠٥ هـ، دار الكتاب العربي، بيروت.

١٥. محمد بن عمر بن الحسين الرازي الشافعي، المعروف بالفخر الرازي، تفسير الفخر الرازي (٤٨٢/٩)، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

١٦. فيض القدير (١٤١/١) بتصرف.

١٧. ابن حجر الهيتمي، الفتاوى الحديثية، (٥٩/١)، ط ٣، ١٤٠٩ هـ، ١٩٨٩ م، شركة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر.

١٨. فيض القدير (١٤٢/١).

١٩. فيض القدير (١٤٢/١).

٢٠. د. عبد الكريم زيدان، أصول الدعوة، ص ١٠٢، دار الوفاء للطباعة والنشر، ١٩٩٢ م، مصر.

٢١. رواه البخاري في الصحيح، كتاب الطب، باب رقية النبي ﷺ (٥٧٤٣)، ط الأولى، ١٤١٩ هـ، ١٩٩٨ م، بيت الأفكار الدولية، الرياض.

نظرية الملامسة (Proximity Theory):

يرى جون بولي من منظري نظرية الملامسة والاتصال أن علم التطور البيولوجي المعاصر يفرض علينا إعادة النظر بنظرية التحليل النفسي فهو يرى أن الفرد يولد بنزعة تقوم على أساس بيولوجي لطلب الاقتراب الحامي (Proximity Protective) من الكبار خاصة الأم، ثم كلا الوالدين فيما بعد وحسب هذه النظرية تعتمد شخصية الراشد فيما بعد على نوع الملامسة والاتصال التي حصل عليها في الفترات المبكرة من عمره، فهو يكون متعاوناً اجتماعياً متفاعلاً مع الآخرين إذا حصل على الملامسة في تلك الفترة، أما الذين لم يحصلوا عليها فيميلون إلى الانسحاب. هذا الأساس يمكن إرجاع السلوك السايكوباتي إلى اضطراب علاقات الحب أو الارتباط الانفعالي بين الأبناء ومن يرعونهم[٢٢].

تطبيقات النظرية (أولاً: على الحيوان):

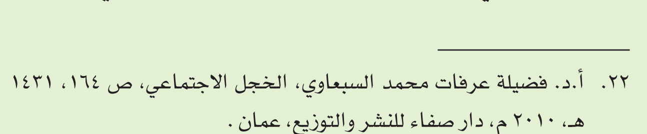
١. أثر اللمس على المخ وموجات الدماغ:

أثبتت دراسة في جامعة كولورادو الطبية (Colorado School Medicine) على القردة أن المخ السليم في اللمس السليم. وذلك من خلال تلك التجربة التي تم فيها حرمان قردة من لمس أمهم وترك قردة في حضن أمهاتهم، وجد أن القردة التي حرمت من حضن أمها كان لديها تغيير في موجات الدماغ وخلل عام في الصحة، وحين يتم إعادة القرد إلى أمه كان كل شيء يعود إلى طبيعته بما فيه موجات الدماغ. بعد فترة من تكرار التجربة وجد أن القردة التي عانت من تكرار حرمانها لمس أمها عانت بعض التخلف العقلي. وأن نسبة التخلف كانت أقل عند القرد الذي يلمس أمه من الحاجز الفاصل فيها[٢٣] من خلال تلك التجربة يتبين لنا مدى تأثير اللمس على نمو الدماغ الصحي على الحيوان، وأن اللمس أثره يتخطى إلى أكثر الأعضاء أهمية في الجسم.

٢. أثر اللمس على النضج والحركة والهرمونات:

في تجربة على الفئران وجد أن الفأر الصغير الذي حرم من لمس أمه ينضج بشكل أقل وأبطأ من الفأر الذي تلمسه أمه، كما أن هرمونات الفأر الملموس أفضل.

أما حركته فهي كثيرة ومبتهجة قياساً على الفأر الذي لا يلمس



٢٢. أ.د. فضيلة عرفات محمد السبعاوي، الخجل الاجتماعي، ص ١٦٤، ١٤٣١ هـ، ٢٠١٠ م، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان.

٢٣. اللمس، ص ١٤٣، د. فوزية الدريع، ط ١، ٢٠٠٣ م، شركة الربيعان للنشر والتوزيع، الكويت.



والذي يكون منطوياً وكئيباً[٢٤].

ووجد اختصاصي الأعصاب (Sual Schanberg) في تجارب على الأسماك والفئران وغيرها من الحيوانات، لسنوات طويلة من البحث أن المخلوقات التي لا يتم لمسها لا تنمو بشكل صحيح، وفي دراسته الدقيقة على هرمون النمو أكد أن هذا الهرمون الرئيس لا يعمل بشكل جيد إذا لم يتم لمس المخلوقات[٢٥].

٣. أثر اللمس في تحفيز أجهزة المناعة:

وأهمية الجلد واضحة عند مربي المواشي والخيول الذين يكثرون من لمسها والتربيت عليها، والفلاحون يعرفون جيداً أن لحس أنثى البقر أو الغنم أو الماعز لوليدها مهم جداً لاستمرار حياته، وقد تبين فيما بعد أن الكثير من أمهات الثديات تقوم بلحس صغارها عند ولادتها لتحفيز أجهزة معينة للعمل.

فقد أجريت بعض التجارب على توائم من الحيوانات (الماعز) حيث فُصل عن الأم أحد التوأمين، بينما بقي الآخر معها طوال مدة طفولته.

٢٤. اللمس، ص ١٤٣.

٢٥. اللمس، ص ١٣٩.

وقد لوحظ فرق كبير بين سلوك الحيوانين، إذ أن الحيوان الذي تربى مع أمه كان طليقاً في حركاته، بينما الثاني الذي تربى بعيداً عن أمه كان كسولاً متباطئاً يميل إلى العزلة(٢٦).

٤. أثر اللمس في النضوج الاجتماعي والانفعالي:

في تجربة (هاري هارلو) من جامعة ديسكونسن الأمريكية، والتي أخذ فيها مجموعة من صغار القردة بعد ولادتها بمدة من ٦ ـ ١٢ ساعة، ووضعها في حضانة نماذج لأمهات من السلك، لا تشعر معها بالارتياح والأمن، وأخذ مجموعة أخرى من القردة ووضعها في حضانة نماذج لأمهات من الخشب المكسو بالبلاستيك والفرو، تشعر معها الصغار بالارتياح والأمن، وتجد وسيلة للاتصال عن طريق اللمس.

ومن متابعة نمو القردة في مراحل حياتها التالية، وجد الباحث أن المجموعة التي حرمت من العطف الأموي (أمهات السلك) فشلت في التفاعل الاجتماعي، وتأخرت في النضوج الاجتماعي والانفعالي، وعندما كبرت أصبحت أمهات عدوانيات غير قادرات على إعطاء العطف والحنان لصغارها، فكانت تعضها وتخربشها، وأحياناً تقسو عليها وتقتلها(٢٧).

ثانياً: على الإنسان

١. سرعة نضج الجهاز العصبي، والتشافي من الأمراض والالتهابات:

في دراسة على الأيتام في الحرب العالمية الثانية أجريت على الأطفال الرضع الأيتام الذين يتم لمسهم من قبل الممرضات والمعتنيات، مقارنة بالأطفال الذين تتوفر لهم نفس ظروف الغذاء والملبس والعناية الطبية ولكن بدون لمس(٢٨).

وجدت هذه الدراسة أن الطفل الذي يلمس مقارنة بالطفل الذي لا يلمس، يزيد وزنه بمعدل ٤٧ بالمائة، وجهازه العصبي ينضج أسرع، ويكون أكثر نشاطا، ويتشافى من الأمراض والالتهابات أسرع، وبعد أن يكبر قليلاً تكون نتائج الاختبارات العقلية والنفسية عنده أفضل.

تمت هذه الدراسة السابقة بعد ملاحظة واضحة على جناحين للأطفال الأيتام الصغار في بداية الحرب العالمية الثانية، حيث لوحظ أن جناحا من الأجنحة التي فيها أطفال أيتام صغار يبدون أكثر صحة وأقل بكاءً من الأجنحة الأخرى التي فيها الأطفال الأيتام أكثر مرضاً وأكثر بكاءً وحتى أكثر وفيات.

كانت ملاحظة من طبيب على نسبة المرض والوفيات جعلته يدرس الفرق بين جناح الأطفال الصحي والأجنحة الأخرى التي تحوى أطفالا غير صحيحين.

ولم يرصد في الفروق إلا حضور امرأة عجوز واحدة متطوعة، هذه المرأة تحضر كل يوم لتحضن الأطفال الواحد تلو الآخر، أو تفتح ذراعيها وتلم أكبر قدر من الأطفال.

هذا الاحتضان، تلك اللمسة جعلتهم أفضل، وتتابعت بعد ذلك الوقت دراسة علم دور اللمس في النمو السليم العام للطفل نفسياً، وعاطفياً، وبدنياً.

٢. ضعف السلوك العدواني وقلة المشاكل:

في دراسة للباحث اكريمان (ackerman 1991) وجد أن الطفل الذي يحصل على مسح جيد من قبل أفراد أسرته يكون أقل عدوانية وأقل مشاكل في المدرسة والبيت قياساً على الطفل الذي لا يحصل على لمس والديه(٢٩).

وقد أثبت علم النفس أن للمسات أثراً عميقاً في نفسية وسلوك الإنسان، واللمسات تعتبر وحدة الإدراك والاعتبار، أي هي الأساس لاعتبار الناس والاعتراف بوجودهم وإعطائهم قيمتهم.

منافع اللمس:

يفتقر المجتمع المعاصر للاتصال البشري، بالرغم من أن العالم أصبح قرية صغيرة، إلا أن العديد من الأشخاص يبعدون أنفسهم عن المحيط الاجتماعي مما يسبب العديد من المشاكل النفسية والصحية.

ومن الأمثلة التي تدلك على أهمية التواصل الودي بين البشر، دراسة قام بها مجموعة من الباحثين الكوريين على مجموعة من الأطفال الرضع الأيتام، حيث عمدوا إلى زيادة فترة المداعبة والتواصل البصري، واللعب مع سيدات متطوعات لمدة ١٥ دقيقة، فكانت النتيجة أن زادت أوزان هؤلاء الأطفال، وأطوالهم، ومحيط رأسهم خلال أسابيع وقلة أمراضهم مقارنة مع أطفال لم يتم إخضاعهم لهذه التجربة(٣٠).

---

٢٦. أ.د. صالح حسن الداهري، مبادئ علم النفس الارتقائي ونظرياته، ص ١١٩، ط الأولى ١٤٢٩ هـ، ٢٠٠٨ م، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان.

٢٧. د. كمال إبراهيم مرسي، المدخل إلى علم الصحة النفسية، ص ٢٤١ – ٢٤٢، ١٤٠٩ هـ، ١٩٨٨ م، دار القلم للنشر والتوزيع.

٢٨. اللمس، ص ١١٧، ١١٨.

٢٩. اللمس، ص ١١٧.

٣٠. موقع إلكتروني: www.3.interscince.wiley.com



وجه الإعجاز في المسح على رأس اليتيم

الإعجاز في المسح

عملية المسح وإمرار اليد على الرأس، يمارسها المسلم يومياً خمس مرات أثناء وضوئه لأداء صلاة الفرض فضلاً عن النوافل. واستخدام اليد اليمنى لأداء تلك الشعيرة في الوضوء هو ما أمرنا به الله عز وجل في قوله تعالى: ﴿وَامْسَحُواْ بِرُؤُوسِكُمْ﴾[٣١]؛ ولأن اليد اليمنى تستخدم في السلام على الآخرين وتتصل بهم، نالت شرف المسح على أهم عضو في جسم الإنسان وهو الرأس.

اليد:

وقد أثبت العلماء أنه توجد في كف الإنسان جميع مجسات الأعضاء الداخلية، وتوجد في وسط الكف منفذ طاقة الكف العلاجية، وأن اليد أداة شفاء عظيمة فيها طاقة كهربائية يجهلها معظم الناس، وإن اليد عالم علاج مازال يبهر البحث العلمي والعلماء[٣٢].

والجدير بالذكر أن اليد اليمنى تُعد القطب الموجب (Male) لطاقة الإنسان، واليد اليسرى هي القطب السالب (Female)، وهذا يعني أن النصف الأيسر من الدماغ يمثل القطب الموجب للطاقة، والنصف الأيمن للدماغ يمثل القطب السالب، وتبلغ قوة تدفق موجات الطاقة من اليد اليمنى ثلاثة أضعاف قوة تدفق موجات الطاقة من اليد اليسرى[٣٣].

٣١. المائدة: ٦.

٣٢. اللمس، ص ٨٦، ٨٧.

٣٣. عبداللطيف العزعزي، أسرار الطاقة، ص ١٦١، ط الرابعة، ١٤٢٩ هـ، ٢٠٠٨ م، الضياء، الإمارات العربية المتحدة.

الرأس:

ومنطقة الرأس هي منطقة طاقة الاتصال المحيطة بالآخرين، ففيها الجهاز العصبي، وفيها الدماغ الذي توجد فيه جميع الأعضاء في مناطق مختلفة منه، وهو منطقة كرامة الإنسان.

عملية المسح:

عندما يضع الشخص (الماسح) يده على رأس اليتيم يحدث اتصال بينهما، فهو عند المسح يقوم بإزاحة وإزالة تلك الشحنات السلبية التي يحملها ذهن اليتيم، وبتكرار تلك العملية يهدأ ذهن اليتيم ويطمئن ويرتاح جسده، والبديع في تلك العملية أنه يحدث لكلا الشخصين (الماسح واليتيم) علاج عضوي من جراء تلك العملية[٣٤]، وهذا ما أكده الدكتور (نيل سولو) من أن اللمس هو أكثر علاج موجود في الدنيا يعطي آثاراً إيجابية للطرفين المتلامسين، معطي اللمس ومستقبل اللمس، في ذات الوقت[٣٥]. وأشار د. سعد شلبي ـ أستاذ الطب التكميلي والجهاز الهضمي والكبد في المركز القومي للبحوث بالقاهرة ـ إلى أن الوضوء خمس مرات يقضي تماماً على آلام الصداع، وأنه أثناء الوضوء يتم الضغط على مراكز معينة في الوجه مما يؤدي إلى إفراز الأندروفينات التي تفرز المورفينات الطبيعية المسؤولة عن شعور الإنسان بالسعادة ويختفي القلق، كما أن مسح الرأس ينشط مسارات الطاقة المختلفة بطول الجسم (من الرأس إلى القدمين)[٣٦].

٣٤. موقع إلكتروني: www.khlais.com

٣٥. اللمس، ص ١٥٠.

٣٦. موقع إلكتروني: www.alazziag.com

وهنا يكمن الإعجاز في عملية المسح، فهو ينشط مسارات الطاقة المختلفة لدى الإنسان، ويعطي آثاراً إيجابية لكلا الطرفين المتلامسين، ويبين الأثر الكبير لليد اليمنى في عملية المسح.

الإعجاز في الأثر

تشير الدراسات العلمية إلى حاجة الإنسان إلى اللمس ومدى أهميته في نموه العقلي والنفسي والصحي، ومن فقد أحد والديه يحتاج إلى رعاية خاصة لكي ينمو نمواً سليماً يعينه على التكيف في المجتمع الذي يعيش فيه، فالأثر الذي تتركه عملية المسح ذو شقين:

الأول: على الممسوح (اليتيم):

حيث أشار (معهد لمسه للبحوث) (٣٧) إلى الآثار الإيجابية المترتبة على العلاج باللمس في جميع مراحل الحياة من حديثي الولادة إلى كبار السن والتي منها:

١. تسهيل زيادة الوزن عند الخدج.
٢. يعزز الانتباه.
٣. يخفف أعراض الاكتئاب.
٤. يقلل الألم.
٥. يقلل من هرمونات الإجهاد.
٦. يحسن وظائف المناعة.

فالملاحظ أن العلاج باللمس، والتي من أحد صورها مسح الرأس، أنها تقضي على كثير من الأمور السلبية التي ترهق الإنسان في يومه، كما أنها تضفي إليه أموراً حسنة نحو زيادة الوزن للخدج، وتحسين أجهزة المناعة في الجسم.

الثاني: على الماسح:

حتى يرغب المصطفى ﷺ المسلمين في عملية المسح على رأس اليتيم، جعل هذا الفعل مفتاحاً لأمراض القلوب، وطريقاً لإدراك الحاجات، وكلا الأمرين نحن في حاجة ماسة إليه، فالمرء في هذه الحياة يتعرض لكثير من الأمور التي تُعرض قلبه إلى القسوة، ويحتاج إلى وسائل متعددة ترجع القلب إلى ما كان عليه من اللين والصفو والرقة.

فما العلاقة بين قسوة القلب والمسح على رأس اليتيم؟

القسوة والشدة في القلب تحتاج إلى من يلينها ويطريها ويكسبها رقة؛ لتنبض بالحب والشفقة والعطف، فكذلك اليتيم حتى يستطيع أن يتكيف ويتأقلم مع المجتمع الذي يعيش فيه بإيجابية بلا سلبية، وبانفعالات متزنة غير متهورة، وأنه فرد مهم في المجتمع، لابد من المسح على رأسه حتى ينزع منه كل الخصال السلبية الناتجة عن يتمه، ويزرع في مقابلها الخصال الحسنة التي تنمي في قلبه حب المجتمع الذي يعيش فيه، وارتبط به منذ نعومة أظفاره، وقد تتعلق حاجات المرء لدى شخص معين ويريد أن تُقضى فلا يستطيع الوصول إليها، فحتى تصل إليه عليه أن يشعر بمعاناة اليتيم وحاجته للآخرين.

وكذلك كدحه في الحياة يجعله في سعي حثيث إلى إدراك حاجاته المتعددة في المعاش، ويريد من يعينه على قضائها والسعي معه فيها، والرحمة له بإطعامه ومؤانسته والجلوس معه.

فالعلاقة هي: علاقة تبادل (أخذ وعطاء) (قسوة ولين)، فكلما قسى قلب المرء عليه أن نُلينه بالمسح على رأس اليتيم، وكلما أراد حاجة، عليه أن يسعى في تلبية حاجات الآخرين.

الخلاصة:

- إن اللمس أو المسح حاجة طبيعية أساسية وضرورية، وأن اللمس وحده لغة تفاهم وتعامل. وأن الإنسان يدخر طاقة عظمى في كفه الأيمن لابد من أن يحسن توظيفه للآخرين ممن يتعايش معهم ومن هم في حاجة إليه.
- وإن في اليتيم شحنات سلبية تظهر تلقائياً لفقده لأبيه، ولابد من مساعدته في التخلص منها، وأمثل طريقة تبين مدى تعاطف الآخرين معه وحنوهم عليه المسح على رأسه.
- وإن في كف الإنسان الأيمن طاقة كبيرة، لذا استخدمها المصطفى ﷺ في المسح على رأس اليتيم والمسح على موطن الألم للمريض.
- وإن رأس الإنسان الذي فيه الجهاز العصبي تهدأ موجة غضبه ونفرته من الآخرين بالمسح عليه أكثر من مرة.
- ولكي يتخلص الإنسان من أي خلق سيء لديه لابد من أن يلجأ إلى العمل بالتضاد، فيتجه إلى المقابل له الحسن.
- وإن الحياة عطاء وأخذ، وليست أخذاً بلا عطاء... فكما يريد الإنسان من الآخرين تلبية حاجياته، فلابد أن يعين غيره على قضاء حوائجه.

---
٣٧. موقع إلكتروني: www.6.miami.edu



د. معزالإسلام فارس

الإعجاز العلمي في حديث (بيت لا تمر فيه جياع أهله)

عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ ﷺ: (يَا عَائِشَةُ بَيْتٌ لَا تَمْرَ فِيهِ جِيَاعٌ أَهْلُهُ، يَا عَائِشَةُ بَيْتٌ لَا تَمْرَ فِيهِ جِيَاعٌ أَهْلُهُ أَوْ جَاعَ أَهْلُهُ. قَالَهَا مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا)

صحيح مسلم، كِتَاب الْأَشْرِبَةِ، بَاب فِي ادِّخَارِ التَّمْرِ وَنَحْوِهِ مِنَ الْأَقْوَاتِ، رقم الحديث: ٣٨١٩. في هذا الحديث الصحيح سنداً، الموثوق متناً، دلالة ظاهرة على العلاقة المتلازمة بين تناول التمر، وهو ثمر النخيل المعروف بطعمه وحلاوته Phoenix dactylifera L، وحصول الشبع الذي هو نقيض الجوع وخلافه، وقد أفاض علماء الحديث في تفسير هذا الحديث، وتبيان مراميه، وتوضيح معانيه، وعلى الرغم مما قيل في معنى الحديث، فإنه يحوي دلالة واضحة إلى النتيجة المباشرة بين تناول التمر وحصول الشبع.

وفي الحديث من أساليب البيان النبوي ما يؤكد على المعنى المراد، ففي استخدم لفظ (بيت) مجاز مرسل محله المكان، حيث عبر الحديث عن أهل البيت الذين هم من يتناول التمر، ويأكله بالمكان الذي يقطنه أهل هذا البيت.

وفي الحديث إثبات للجوع لمن لا يتناول التمر، وفي وصفهم بالجوع (جياع أهله) دلالة صريحة على تحقق الجوع عند غياب هذا الطعام. فهو عند أحمد (٢٤٧٤٠) بإسناد حسن بلفظ (بيت ليس فيه تمر كأن ليس فيه طعام)؛ إذ إن الكثيرين لا يتناولون التمر ولا يشعرون بالجوع، بل هم متخمون من فرط الشبع، الأمر الذي يفتح الباب لمعنى آخر غير المعنى الظاهر. فالمعنى الذي يتفق مع الحقيقة العلمية لفسيولوجيا الجوع والشبع هي نفي الجوع عمن يتناول التمر وليس إثبات الجوع لمن لا يتناوله. بل إن منطوق الحديث يحمل المعنى المخالف وهو نفي للجوع عن أهل البيت الذين يتناولون التمر. ولعل ظاهر الحديث يتساوق مع واقع المسلمين والناس آنذاك في عصر النبوة حيث كان التمر القوت الرئيس، والغذاء الأساس لدى الناس، وكان اعتمادهم عليه كغذاء أساسي كفيل بدرء خطر الجوع عنهم، وخاصة في جزيرة العرب حيث محدودية أنواع الطعام والشراب مقارنة مع غيرها من البلاد.

فسيولوجيا الجوع وعلاقتها بسكر التمر:

وبالنظر إلى فيسيولوجيا الجوع والشبع، وكذا النظر في مكونات التمر ومحتوياته، أمكن لنا أن نقف على أسرار الهدي النبوي في هذا الحديث الشريف وما انبنى عليه من حكم وآيات. ففسيولوجيا الجوع والشبع

الربط المباشر بين التمر وحصول الشبع دلالة علمية وسبق نبوي معجز

تستند إلى قدرة الجسم على تحسس الحاجة إلى تناول الطعام والشراب، وكذا تحسس الاكتفاء منه. وتعتمد آلية الجوع والشبع على التكامل والتنسيق بين ثلاثة أنواع من الوظائف الحيوية والفسيولوجية الجسمية وهي: الجهاز العصبي والجهاز الغدي الهرموني، والتحسس الموضعي للطعام والشراب في الجهاز الهضمي. إذ يحوي الدماغ، وتحديداً الغدة المسماة (تحت المهاد)، على مِجسات قادرة على تحسس وقياس مستوى سكر الدم (الجلوكوز) في الجسم، كما يتحسس الدماغ الجوع من خلال سيالات عصبية تصل إليه.

ولعل العنصر الأهم في تحديد الشعور بالجوع هو سكر الدم (الجلوكوز). ويمثل سكر الجلوكوز عِملة الطاقة في الجسم وهو الشكل الوحيد من الكربوهيدرات القابل للتصريف داخل خلايا الجسم وأنسجته. ويحصل الجسم على سكر الجلوكوز من خلال طريقين اثنين:

الأول: الطعام والشراب، ويمثل سكر الجلوكوز المصب الذي تنتهي إليه جميع اشكال الكربوهيدرات الغذائية المتناولة. إذ يقوم الجسم بتحويل ما يأخذه من النشا الغذائي المعقد بعد عمليات الهضم والامتصاص إلى سكر الجلوكوز، ويقوم بتحويل غيره من السكريات الأحادية والثنائية إلى سكر الجلوكوز بطريقة أيسر وأسهل. فتكون محصلة تناول أي نوع من الكربوهيدرات هو إنتاج سكر الجلوكوز وتخزينه في الجسم. وتتمثل أشكال سكر الجلوكوز الموجودة في الجسم إما على شكل السكر الحر في الدم، أو على شكل النشا الحيواني (الجلايكوجين) الذي يقوم الجسم بتخزينه في الكبد والعضلات باستخدام الفائض من جلوكوز الدم. وفي حال امتلاء مخازن الجلايكوجين، يقوم الجسم بتحويل الفائض من السكر في الدم إلى مركبات دهنية ويقوم بتخزينها في الأنسجة الدهنية، ويتم ذلك بواسطة



التمر أكثر قدرة على رفع سكر الدم لاحتوائه على البوتاسيوم والفيتامينات الذائبة في الماء

مركب الأسيتيل كوأي Acetyl Co-A الوسيط.

الثاني: عمليات تصنيع سكر الدم (الجلوكوز) من غير مصادره السكرية، مثل مركب الجليسيرول المشتق من المركبات الدهنية ثلاثية الجليسيريد Triglycerides، ومركب اللاكتيت Lactate الناتج عن تخمر سكر الجلوكوز في العضلات، وبعض مركبات الأحماض الأمينية المشتقة من بروتينات العضلات والتي تعرف بـ Glucogenic amino acids، أي أن الجسم بمقدروه إنتاج هذا السكر من المصادر الثلاثة للطاقة، وهي البروتينات والكربوهيدرات والدهون. ويتم إنتاج سكر الجلوكوز من هذه المركبات غير السكرية عبر عملية حيوية معقدة تعرف بالانجليزية بـ Gluconeogenesis وتعني (تصنيع سكر الجلوكوز من مصار غير سكرية).

لقد خلق الله - عزوجل - الإنسان وجعل له في جسمه مصادر للطاقة يستعملها خلال حياته ليتزود منها بالطاقة الحيوية الضرورية للقيام بالوظائف الفسيولوجية المختلفة. وتتنوع مصادر الطاقة في جسم الإنسان على النحو التالي (بناء على وزن جسم الإنسان البالغ ٧٠ كغم): سكر الدم Blood glucose (٢٠ غم)، والنشا المعقد (الجلايكوجين) Glycogen



والمتمركز في الكبد والعضلات (٢٢٥ غم)، والأحماض الدهنية Fatty acids المتواجدة في الأنسجة الدهنية (النسيج الدهني الأبيض White Adipose Tissue) (١٥ كغم)، والجزء البروتيني من العضلات Muscle proteins (٦ كغم)، وأخيراً الأحماض الدهنية الحرة والجليسيريدات الثلاثية Plasma free fatty acids and plasma triglycerides في الدم (٣,٣ غم).

ويتنوع استخدام الجسم لمصادر الطاقة تلك، وينتقل بين استخدام هذه المصادر حسب الحاجة الفسيولوجية التي تقتضيها طبيعة النشاط والجهد البدني المبذول وحسب درجة الجوع والإطعام. وقد قسم العلماء مراحل استخدام الطاقة (التوليد والاستعمال) في الجسم إلى ثلاث مراحل تعتمد على درجة ومستوى الجوع والإطعام، وأطلقوا عليها مجتمعة اسم دورة الجوع والإطعام Starve-Fed Cycle.

صحة الجسم تتوقف على توفير الجيلكوز والمحافظة على مستوياته الطبيعية

ويعد هرمون الإنسولين الذي تفرزه خلايا بيتا في جزر لانجرهانز في البنكرياس العامل الحيوي المباشر المسؤول عن مجمل عمليات الأيض والتمثيل للسكر في الجسم. حيث يقوم هذا السكر بتنظيم مستوى سكر الدم ضمن حدوده الطبيعية ٦٠-١١٠ ملغم/ديسيلتر، وذلك من خلال آليتين اثنتين هما: الأولى، المساهمة في إدخال سكر الجلكوز من الدم إلى الخلايا، كيما تقوم الأخيرة بالاستفادة منه في عمليات التنفس الخلوي اللازمة إنتاج الطاقة التي تستخدمها الخلايا في القيام بالعمليات الحيوية المختلفة.

الثانية، عملية تحويل الفائض من سكر الدم إلى النشا الحيواني المعروف بالجلايكوجين، وتخزينه في مستودعاته في الكبد والعضلات.

وتتمحور عمليات إنتاج وتوليد الطاقة في الجسم حول مدى قدرة الجسم على المحافظة على مستوى سكر الجلوكوز ضمن حدوده ومستوياته الطبيعية في الجسم، وتتم لأجل ذلك العديد من التفاعلات الحيوية التي تنشد تحقيق ذلك الهدف.

ففي حالة الصيام أو الجوع، وعندما يحرم الجسم من تناول الغذاء الذي يمثل مصادر الطاقة، يقوم الجسم بتغيير مسارات الايض وإنتاج الطاقة، ويلجأ إلى وسائل جديدة تضمن المحافظة على تزويد الجسم بالطاقة وتحديداً الجلوكوز، وتدرأ عنه خطر انخفاض مستواه في الدم.

فمن خلال استعراض العمليات الحيوية الأيضية في الجسم، نجدها ترتكز كلها على حقيقة واحدة وهي ضرورة توفير سكر الدم (الجلوكوز) والمحافظة على مستوياته الطبيعية في الدم، ودرء انخفاضه عن حدوده الدنيا، وعمل ما أمكن من تحليل للبروتينات والدهون في الجسم، وتوظيفها في إنتاج الجلوكوز، والبحث عن بدائل للطاقة لتوفير جلوكوز الدم؛ كلها تدل دلالة بينة على أهمية هذا السكر ودوره المحوري في صحة الجسم وحيويته.

إن هذا الفهم لدور سكر الجلوكوز في الجسم، وأهميته الحيوية يساعدنا في فهم مغزى الحديث الشريف ومرماه (بيت لا تمر فيه جياع أهله).

فالتمر يعد غذاءاً مركزاً بالسكريات البسيطة، وأهمها الفركتوز، والذي يتحول سريعاً إلى سكر الدم الجلوكوز حالما تم هضمه وامتصاصه.

وبالنظر إلى التحليل الكيماوي والتركيب الغذائي للتمر تبين لنا دور هذه الثمرة الحلوة الطعم الطيبة المذاق في درء حالة الجوع وعوز السكر، حيث تمثل الكربوهيدرات الكلية حوالي ٧٥٪ من وزن التمر، فالسكريات البسيطة غير المعقدة وسريعة الهضم والامتصاص تمثل قراية ٦٦٪ منها، ويمثل سكر الجلوكوز أكثر من نصف تلك السكريات (٣٤٪) في حين يمثل سكر الفركتوز البسيط الجزء الآخر (٣٢٪) وهو سرعان ما يتحول إلى سكر الجلوكوز في الجسم.

وعند النظر إلى مؤشر منسوب سكر الدم للتمر، أو ما يعرف بـ Glycemic Index (GI)، وهو مؤشر يظهر مدى قدرة المادة الغذائية على رفع مستوى سكر الدم بعد ساعتين من تناولها، ويستخدم من قبل مرضى داء السكر لمساعدتهم في اختيار الأطعمة المناسبة لهم؛ يتبين لنا بشكل أوضح قدرة التمر على رفع مستوى سكر الدم بشكل سريع، وهو ما ينبني عليه حماية الجسم من أضرار انخفاض سكر الدم لدى الأشخاص الطبيعيين.

وتشير جداول منسوب السكر إلى أن التمر هو الغذاء الأكثر قدرة على رفع سكر الدم على الإطلاق من بين جميع أنواع الفواكه والأطعمة الحلوة الطبيعية غير المصنعة، وبقيمة ١٤٧.

وفي هذا دلالة وأي دلالة على قدرة التمر على رفع مستوى سكر الدم، ومن ثم التخلص من كافة الأعراض السلبية الناجمة عن انخفاضه، والمرافقة لحالة الجوع والعوز، والتي ذكرت آنفاً.



كما تجدر الإشارة إلى أنه يحتمل وجود مركبات أو عناصر أخرى في التمر، عدا السكر، تسهم في التأثير على عملية الجوع والحد من مسارات الأيض الخاصة بها، إذ يعد التمر مصدراً غنياً جداً بالبوتاسيوم، إضافة إلى احتوائه كميات جيدة من الفيتامينات الذائبة في الماء وخاصة النياسين (ب٣).

وما زال العلم الحديث يكشف عن دور وخصائص المركبات النباتية العضوية Phytochemicals وعن أدوارها ووظائفها الفسيولوجية والحيوية المختلفة، والتي قد تكون ذات تأثير وفعل في عملية الجوع، وعلى مسارات الأيض وانتاج الطاقة في الجسم، وهو ما يحتاج إلى البحث العلمي لتأكيده والتحقق منه.

وختاماً.. فإن الربط المباشر الوارد في الحديث الشريف بين تناول التمر، وحصول الشبع، وهو نقيض الجوع وخلافه، يمثل دلالة علمية واضحة وإشارة بيِّنة على التحول في مسارات الأيض وإنتاج الطاقة عند غياب الكربوهيدرات وعدم حصول الجسم عليها، وهي المزود الرئيس للجسم بسكر الجلوكوز، وهذا يعتبر سبق نبوي معجز في تقرير حقيقة علمية مفادها: أن التمر وما يحويه من مكونات ممثلة بالسكر يمثل غذاء موائماً لدرء خطر الجوع وما ينبني عليه من نقص لسكر الدم وما يتبعه من تغيرات سلبية ضارة على صحة الجسم، وهو إن دل فإنما يدل على حكمة العليم الخبير الذي علم نبيه ﷺ وأطلعه على سر من أسرار هذا الكون وما فيه من مخلوقات وآيات أبدعها الله عز وجل، وأخبرها نبيه ﷺ تأييداً لدينه وتثبيتاً لأتباعه وتأكيداً على صدق نبوته، وثبوت رسالته، ورسوخ مبادئه، وأنه مرسل من عند الله اللطيف الخبير ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ (الملك: ١٤) ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى﴾. ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾ (النجم: ٣-٤)

المراجع:

١. قاموس القرآن الكريم. معجم الحيوان. مؤسسة الكويت للتقدم العلمي. الطبعة الأولى، الكويت، ١٩٩٩.

٢. صحيح مسلم، صحيح مسلم، كِتَاب الْأَشْرِبَةِ، بَاب فِي ادِّخَارِ التَّمْرِ وَنَحْوِهِ مِنَ الْأَقْوَاتِ. موقع الدرر السنية

3. Guyton and Hall, Textbook of Medical Physiology, 10th, 2000.
4. Lecture Notes of "Energy in Nutrition", Dr Mousa A. Noman.
5. Brody, T. 1999.Nutritional Biochemistry, 1999, Academic Press.
6. Vander, A., Sherman, J., and Luciano, D. Human Physiology, 8th ed., 2001, McGraw Hill.
7. Foster-Powell, K., Holt, S.H.A. and Brand-Miller, J.C. 2002. International table of glycemic index and glycemic load values: 2002. American Journal of Clinical Nutrition; 76:5 - 56.
8. The Food Processor SQL, ESHA Research, 10.7.0, 2010.



أضواء على الهندسة الوراثية

د. حسين اللبيدي*

قال الله تعالى:﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ﴾ (سورة الحج:٧٣).

الهندسة الوراثية:

هي التقنية التي تتعامل مع الجينات أو الوحدات الوراثية المتواجدة على الكروموزومات فصلاً ووصلاً وإدخالاً لأجزاء منها من كائن إلى آخر بغرض إحداث حالة تمكن العلماء من معرفة وظيفة (الجين) أو بهدف الحصول على طبعات، وهي مكونة من أشرطة مسجل عليها صفات الكائن المادية، وهذه الأشرطة تسمى الجينات.

وتقدم العلم، فاكتشف أن هذه المورثات أو حاملات الصفات ما هي إلا سلم مزدوج من مادة تسمى (D.N.A) الحمض النووي المعروف الآن بحامل الشفرة الوراثية، وبعدها درس العلماء خصائصه وتعرفوا عليها، فماذا وجدوا؟

* باحث بالهيئة

تهجين السلالات الحيوانية والنباتية لا يدخل ضمن قضية التغيير والتبديل

لقد وجدوا ما يأتي:

١. أن (D.N.A) هو حامل الشفرة الوراثية.
٢. أن الصفات التي يحملها تترجم منه إلى بروتينات تتجسد على هيئة الصفة المطلوب تنفيذها.
٣. أن كل خيط يمكن أن يكون قالباً يتكون عليه خيط جديد يتزاوج معه مستخدماً وحداته البنائية من السيتوبلازم.
٤. أنه يمكن قطع ووصل هذا اللولب المزدوج بوسائل تقنية متعددة، وفي أماكن مختلفة. كما يمكن بسهولة فصل زوجي اللولب.
٥. أنه يمكن قص ولصق قطعة منه من مكان لآخر.
٦. أن تغييراً أو تدميراً يشوه هذا النظام يؤدي إلى: إما نتيجة قاتلة للكائن أو حالة مرضية مترتبة على تعطل صفة من صفاته، والتي تختلف من حيث أهميته
٧. إن تركيب (D.N.A) ومكوناته هي (سكر، وأدنين، وفوسفات) وهذه التركيبة مشتركة في جميع الكائنات من الفيروس إلى الفيل.

وهذه الملحوظات فتحت الطريق أمام العلماء لمزيد من التجارب من خلال إدخال وإخراج أجزاء من هذه الشفرة الوراثية، ومن خلال قطع ووصل أجزائها، بل ومحاولة إدخال أجزاء من (D.N.A) لكائن معين إلى أجزاء من (D.N.A) لكائن آخر.

ومن خلال ذلك انفتحت الأبواب أمام علوم ما يسمى بالهندسة الوراثية، فقد تمكن العلماء من إدخال جينات (مورثات) من حيوان إلى بكتريا، بل ومن إنسان إلى بكتريا أو حيوان، وكانت المفاجأة المذهلة أن البكتريا المطعمة بالجين الغريب أخذت في الانقسام لتنتج طبعات كثيرة من هذا الجين، أُمكن من خلالها دراسته دراسة مستفيضة، بل وأُمكن من خلال إدخال جينات ـ قطع حاملة لبعض الصفات ـ معينة من الإنسان إلى الحيوان أن نحصل على نواتج ذلك (الجين) بكميات كبيرة من خلال ألبان هذا الحيوان.

وأُمكن من خلال هذه الهندسة الحصول على الأنسولين البشري، وعامل التجلط البشري، بل وعوامل إذابة الجلطة، وعامل النمو البشري بكميات كبيرة ما كان للإنسان أن يصل إليها أبداً من مصادرها.

وسنضرب لذلك الأمثلة التالية:

جاء في مجلة العلوم الأمريكية مجلد ١٣ عدد ٤ أبريل ١٩٩٧ (ترجمة الكويت) ما يأتي:

في عام ١٩٨١ أوضح (w.j كوردن) وزملاؤه في جامعة يال: أن الجنين المخصب لفأر يستطيع أن يدمج مادة جينية غريبة (D.N.A) في صبغياته (مورثاته) وبعدها جاء علماء من جامعة (أوهايو) الذين برهنوا أن الجين (وهو قطعة من (D.N.A) تحمل رموزاً لبروتين معين مأخوذ من الأرنب يمكن أن يؤدي وظيفته في الفأر بعد حقنه في جنين فأر وحيد الخلية)، وكان من المدهش أن لاحظ العلماء أن (D.N.A) الغريب والمحقون من خلايا الأرنب إلى خلايا الفأر سرعان ما يتكامل مع صفات الفأر، ويحتمل أن تكون الخلية ميزته على أنه قطعة مكسورة من (D.N.A) الخاص بها، والذي يحتاج إلى ترميم.

وفي ١٩٨٧ ظهر اكتشاف هام آخر يتعلق بالحيوانات المحورة جينياً، فقد قام مجموعة من العلماء بابتكار وسائل لتنشيط الجينات الغريبة في الغدة الثديية للفأر كان من نتيجتها تكوين جزيئات بروتينية غريبة وإفرازها في حليب الفأر المحور جينياً.

وتمخضت هذه الأبحاث الفذة عن إمكان إنتاج البروتين البشري (منشط البلازمينوجين) من خلال إدخال الجين البشري حامل هذه الصفة في الخلايا المنتجة للبن في حيوان مختار، لتكون النتيجة أن يخرج هذا البروتين بكميات كبيرة في لبن الحيوان لاستخدامه كوسيلة للعلاج في حالة نقص هذا البروتين في المرضى من البشر.

وقد طبقت هذه التقنيات في إنتاج بروتينات علاجية هامة مثل البروتينات المانعة للنزيف والمانعة للتجلط، ومن قبل أُمكن تخليق الأنسولين البشري من خلال إدخال جين بشري حاملاً لصفته داخل بكتريا معينة.

وواكب هذه الاكتشافات المبهرة حملة إعلامية عارمة لعب فيها الخيال العلمي دوراً مؤثراً على عقول عامة المثقفين



العبث بالجينات يخرجها عن فطرتها

وضعت علامات استفهام أمام الفكر الديني المستنير، فقد تناقلت أجهزة الإعلام أخباراً عن إمكان أن يتقدم الآباء أو الأمهات بطلبات إلى العلماء للحصول على أطفال لهم موصفات معينة في الشكل واللون والذكاء والقدرة الجسمانية أو العقلية، بل وذهب الخيال العلمي إلى إمكان إدخال جين (صفة) التمثيل الضوئي من النبات الأخضر إلى الأجنة البشرية للحصول على الإنسان الأخضر الذي يمكن أن يستخدم أشعة الشمس وثاني أكسيد الكربون من الجو للحصول على غذائه وطاقته، وبذلك لا يصبح هناك أي مشاكل اقتصادية لها علاقة بالغذاء.

وإذا كان ذلك كذلك، فإن أسئلة هامة لا بد وأن تثار كالآتي:

١. هل يعتبر ذلك تدخلاً في شأن من شئون الله؟.

٢. هل يعتبر ذلك تعديلاً لخلق الله إلى الأفضل؟.

٣. هل يعتبر ذلك دليلاً على صدق النظرية المادية البحتة؟ هل وهل وهل..؟.

قبل أن نرد على هذه الأسئلة، لابد وأن نبين للعقل المفكر أن هذه الأسئلة زائفة أصلاً وباطلة عقلاً، لأنها لا تعتمد على حقائق، بل تعتمد على خيال وأوهام وضلالات كيف؟

سأستعير الإجابة من كلام علماء الهندسة الوراثية والذين يعملون في هذا المجال كما يأتي:

يقول (إيرفين شار جاف) أحد مؤسسي علم البيولوجيا الجزيئية: إن اللعب في الجينات يعرضنا للخطر.

ويقول (وليام بيتز) عالم الهندسة الوراثية وصاحب مؤلف الهندسة الوراثية للجميع: إن وظيفة معظم ما نحمله من (D.N.A) لا يزال سراً، والحقيقة أن معظمه يبدو بلا فائدة، وأن ٩٠٪ من بعض أطوال الجينات لا يحمل معلومات، ويقول أيضاً: أن علماء البيولوجية لا يعلمون إلا القليل جداً من معضلة أسرار الجينات، وأن العلماء إذا أدخلوا جيناً (صفة) في خلية مستهدفة فسيواجه هذا الجين المدخل أحد مصيرين:

إما أن يلتحم ب (D.N.A) الموجود فعلاً في الخلية، أو يظل منعزلاً عنه كمقطع مستقل، والعلماء لا يستطيعون أن يحددوا ماذا سيحدث، بل كل ما يعملوه هو أن يقوموا بإلقاء الشفرة الوراثية المأخوذة من كائن في الخلية المستهدفة، ثم ينتظرون، فقد تستطيع الخلية دمجها في المكان المناسب، وقد لا تستطيع، ولا علم للعلماء بالنتيجة مسبقة، ولا دخل لهم في إتمامها الدقيق.

وقد تؤدي بعض تقنيات الهندسة الوراثية المصاحبة للجينات المدخلة إلى الخلية المستهدفة إلى إكساب الخلية صفات سرطانية، كما يحدث أحياناً نتيجة استخدام الفيروسات أو مكوناتها لدمج جين معين في خلية حيوانية مستهدفة.

وفي كتاب مستقبلنا الوراثي للجمعية الطبية البريطانية يقول علماء الهندسة الوراثية: إن التحوير الوراثي يستخدم لعلاج الأمراض الوراثية الخطيرة، أما احتمال أن يستطيع الوالدان في يوم ما طلب أطفال بخصائص معينة، فإن هذا ليس أمراً ممقوتاً فحسب، وإنما هو أيضاً لا يحتمل قط التوصل إليه.

ونجد في هذا المرجع العالمي أيضاً: والفوائد المباشرة للعلاج الجيني الناجح للخلايا الجسدية قد تكون أمراً واضحاً، أما التأثيرات المستقبلية وعلى المدى الطويل، فهي مما قد يصعب التكهن به، فمن الممكن مثلاً أن يحدث خطأ في إيلاج الجينات يؤدي إلى تحول الخلية إلى خلية سرطانية مع عدم ظهور السرطان إلا بعد سنين تالية لذلك.

وخلاصة كل ذلك أن حقل الهندسة الوراثية لا يتعدى تسخير البكتريا أو الحيوانات لإنتاج بروتينات تستخدم لعلاج



تبديل الجينات بمستحدثة معملياً مستحيل عقلاً ونقلاً..

بعض المرضى الذين يعانون من نقص وراثي في هذه المركبات، بمعنى أن هذه البكتريا أو الحيوانات المستخدمة لإنتاج المطلوب تعويضاً لما فقد من الإنسان ما هي إلا كائنات تسخر لعمل ذلك، حتى أن أحد كبار علماء الهندسة الوراثية أطلق على هذه الكائنات المسخرة تعبير (حمير مسخرة للعمل).

وكذلك قام العلماء بمحاولة إدخال بعض الجينات المفقودة أو المعطوبة، وهذا يدخل من باب تسخير هذه الجينات لصالح العودة بها إلى حالتها المفطورة عليها، وهو من باب العلاج والتداوي. وطاعة للرسول ﷺ في حث الناس على التداوي: (تداووا عباد الله...).

وصدق الحق الذي قال:

﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ﴾ (سورة:٢٠).

ولكن هل يمكن للإنسان أن يلعب في الجينات ويغير فيها بالزيادة أو النقصان أو التبديل؟

الإجابة: نعم يمكنه ذلك.

فيكون السؤال التالي:

وماذا ستكون النتيجة؟

الإجابة: هناك وسائل إيضاح شاهدها العلماء في واقع الحياة، حيث لاحظوا أن هناك كائنات تحدث لها طفرات أو تغيرات، تؤدي إلى حذف أو قطع أو إضافة جينات (صفات) تخرجها من فطرتها المفطورة عليها إلى حالة مخالفة، ولقد لاحظ العلماء أن أغلب هذه التغيرات إما قاتلة مدمرة للكائن، أو ممرضة له بدرجة لا حل لها.

والإجماع على أن التغير في الخلق المفطور عليه الكائن مخرب أو مدمر أو ممرض حتى ولو بعد حين.

أما عملية التهجين في السلالات الحيوانية والنباتية مثلاً، فلا تدخل ضمن قضية التغير والتبديل، لأن التهجين لا تغيير فيه بل تبقى الصفات في مكانها، وعلى هيئتها ولكن تتم مزاوجة صفات من كائن بصفات من كائن من نوعه، كما يتم تزاوج مورث يحمل صفة الطول (مثلاً) مع مورث لا يحملها، ليكون الناتج حاملاً لصفة الطول، وقس على ذلك.

أما التدخل لتغيير خلق إلى هيئة أخرى كإنتاج إنسان أخضر، أو طفل عبقري عبر جينات مستحدثة معملياً، فهذا من المستحيل عقلاً ونقلاً:

عقلاً: لأن العلماء لا يعلمون من أسرار الجينات إلا القليل، ولأن القضية ليست بجين معين، بل علاقات جينية متشابكة ومتداخلة في شبكة لا يحيط بها إلا الخالق الباري المصور، ولأن الملاحظة العملية أكدت خطورة التغيير على الكائن الحي.

ونقلاً: لأن الحق يقول:

﴿لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ﴾ (الروم: ٣٠)

ولكن لو حدث أن تم ذلك التبديل، فإن النتيجة لا خير فيها، بل إن البشرية لن تجني من ورائها إلا الخراب والتدمير، وهو من أمر الشيطان لأوليائه، الذي قال الحق عنهم: ﴿وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ﴾ (النساء: ١١٩)

وها هم العلماء النابهون يعقدون المؤتمرات، ويحزرون من اللعب بالجينات تغيراً وتبديلاً بدرجة تخرجها عن فطرتها خوفاً من أن تتكاثر وتنطلق في البيئة، وتخرج منها أجيال مدمرة أو تخل بالتوازن البيولوجي الذي خلقه الله بمقدار وعلم وحكمة ﴿وكل شيً عنده بمقدار﴾ (الرعد: ٩) بل وها هم العلماء الراسخون في العلم يحذرون من إمكان أن تتحول الخلية المسالمة إلى أخرى سرطانية قاتلة نتيجة اللعب بجيناتها تبديلاً وتغييراً.

حركة الأرض بينة على التوحيد



د. محمد دودح

منذ القدم والسائد هو التَّوَهُّم بالأرض المُسَطَّحَة الثابتة Motionless flat earth، وبثبات النجوم، وبأن الأجرام السماوية تتحرك بحركة أفلاك شَفَّافَة بلا حركة ذاتية حتى جاء عصر العلم فمحاه، ومرافق صريح القرآن الكريم منذ القرن السابع الميلادي: الأرض كروية وكل جرم في الكون يجرى بحركة ذاتية في مدار مُقَدَّر الأجل؛

يقول تعالى: ﴿يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى﴾ (الزمر: ٥)، قال ابن حزم (رحمهم الله تعالى جميعا): (إن أحداً من أئمة المسلمين المستحقين لاسم الإمامة بالعلم رضي الله عنهم لم يُنكروا تكوير الأرض، ولا يُحفظ لأحد منهم في دفعه كلمة؛ بل البراهين من القرآن والسنة قد جاءت بتكويرها..، (والتكوير) مأخوذ من كور العمامة؛ وهو إدارتها»، وقال سيد قطب: «يُكَوِّرُ اللّيْلَ عَلَى النّهَارِ وَيُكَوّرُ النّهَارَ عَلَى اللّيْلِ».. تعبير عجيب يقسر الناظر فيه قسراً على الالتفات إلى ما كُشِفَ حديثاً عن كروية الأرض..، فالأرض الكروية تدور حول نفسها في مواجهة الشمس؛ والجزء الذي يواجه الشمس من سطحها المكور يغمره الضوء ويكون نهاراً، ولكن هذا الجزء لا يثبت لأن الأرض تدور، وكلما تحركت بدأ الليل يغمر السطح الذي كان عليه النهار، وهذا السطح مكور؛ فالنهار كان عليه مكوراً والليل يتبعه مكوراً كذلك..، (و)النهار من الناحية الأخرى يتكور على الليل، وهكذا في حركة دائبة..، واللفظ يرسم الشكل ويحدد.. (للأرض) حركتها»، وقال الشيخ محمد متولي الشعراوي: «(بالنسبة) إلى قضية.. دوران الأرض..: هل يستطيع أحد أن يحكم على مكان.. كله يتحرك بما هو فيه، إنك لا تستطيع أن تدرك أنه متحرك..، لماذا؟، لأنك لا تعرف حركة المتحرك إلا إذا قسته مع شيء ثابت، ولا شيء ثابت لأن الأرض كلها تدور».



طبقا للاعتقاد في الغرب؛ تُصَوِّر هذه الوثيقة من العصور الوسطى راعي غنم بلغ طرف الأرض التي كان يعتقد أنها مسطحة واخترق برأسه السماوات ليطالع عجلات تدير أفلاكاً شفافة ثبتت عليها الأجرام الفلكية.

ابن عثيمين: الأرض كروية بدلالة القرآن وكلام أهل العلم

ابن تيمية: العلوم الصحيحة لا تنافي معقولا صحيحا

وقيام البعض اليوم إذن باتهام أئمة المسلمين بأنهم ينكرون كروية الأرض وبأنهم يكفرون من يقول بحركتها تَقَوُّل وتَجَنٍّ وافتراء، وطالع بنفسك تصريح سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز في قوله (رحمه الله تعالى): «أما.. البيان الذي كتبه.. التجمع التقدمي في مصر من إنكاري هبوط الإنسان على سطح القمر، وتكفير من قال بذلك أو قال إن الأرض كروية أو تدور؛ فهو كذب بحت لا أساس له من الصحة..، وقد.. بينت أن الواجب على من لا علم لديه التوقف وعدم التصديق والتكذيب حتى يحصل له من المعلومات ما يقتضي ذلك، كما أني قد أثبت.. عن العلامة ابن القيم رحمه الله ما يدل على إثبات كروية الأرض، أما دورانها.. (فإني) لم أكفر من قال به، وإنما كفرت من قال إن الشمس ثابتة غير جارية؛ لأن هذا القول مصادم لصريح القرآن الكريم والسنة..، ليعلم القراء غلط أو كذب أصحاب البيان المذكور فيما نقلوه عني»، ولم يخرج فضيلة الشيخ محمد بن العثيمين عن نفس النهج في قوله (رحمه الله تعالى): «الأرض كروية بدلالة القرآن والواقع وكلام أهل العلم»، وقوله: «أما مسألة دوران الأرض فإننا كما قلنا..: لو كانت من الأمور التي يجب على المؤمن أن يعتقدها إثباتاً أو نفياً لكان الله تعالى يبينها بياناً ظاهراً، لكن الخطر كله أن نقول: إن الأرض تدور وأن الشمس هي الساكنة»، فكما ترى لم يعتقد فضيلته بالمثل أن القول بحركة الأرض حول الشمس إثباتاً أو نفياً إنكارا لمعلوم من الدين بالضرورة؛ وإنما دافع الشيخان بضراوة عن صريح الكتاب العزيز بأن للشمس حركة تخصها، ويكفي تصريح سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز لإسناد المسائل الكونية إلى المختصين وتوقف ما عداهم حتى تتضح لهم حقائق قد بُذلت في نيلها أعمار في قوله (رحمه الله تعالى): «الواجب على من لا علم لديه التوقف وعدم التصديق والتكذيب؛ حتى يحصل له من المعلومات ما يقتضي ذلك».

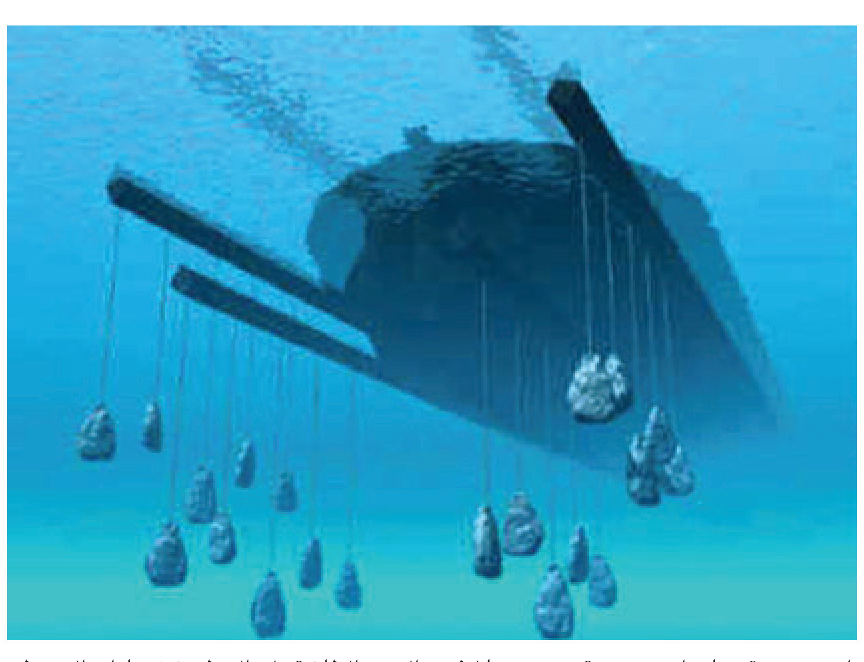
والمُجمع عليه أن يقيني الثبوت والدلالة مما يُنسب للوحي لا يمكن أن يعارض حقيقة كونية قطعت بها الكشوف العلمية، ويكفي تصريح فضيلة الشيخ محمد بن العثيمين لبيان حرص العدول على حفظ الشريعة من الصدام مع الواقع إن ثبت بيقين في قوله (رحمه الله تعالى): «علينا أن نؤمن بظاهر كلام الله وسنة رسوله (عليه الصلاة والسلام)؛ اللهم إلا

إن يأتي من الأمور اليقينيات الحسيات المعلومة علم يقيني بما يخالف... فإننا في هذه الحالة يكون فهمنا.. غير صحيح»، ويبلغ تواضع الفضلاء أمام البيان المعجز غايته في قول فضيلة الشيخ محمد الأمين الشنقيطي (رحمه الله تعالى): «إن من أنواع البيان التي تضمنها (هذا الكتاب المبارك) أن يقول بعض العلماء في الآية قولاً ويكون في نفس الآية قرينة تدل على خلاف ذلك القول»، وقال ابن تيمية (رحمه الله تعالى) في مجموع الفتاوى (ج٦ ص٥٥٧): «العلوم السمعية الصحيحة لا تنافى معقولا صحيحا... فإن ذلك.. قد أشكل على كثير من الناس حيث يرون ما يقال أنه معلوم بالعقل مخالفًا لما يقال أنه معلوم بالسمع... فأوجب ذلك أن كذبت كل طائفة بما لم تحط بعلمه حتى آل الأمر بقوم من أهل الكلام إلى أن تكلموا في معارضة الفلاسفة في الأفلاك بكلام ليس معهم به حجة لا من شرع ولا من عقل، وظنوا أن ذلك الكلام من نصر الشريعة، وكان ما جحدوه معلوما بالأدلة الشرعية أيضا».

استخدمت قديما رواسي حجرية تمتد عميقا لتثبيت السفن الطافية على السطح فوق تيارات المحيط، فما أشبهها بامتدادات جذور الجبال لتثبيت الألواح القارية الطافية على السطح فوق تيارات الباطن.

ومن المعلوم أن الألفاظ متعددة الدلالة كلفظ (الأرض) يتعين من دلالاتها المناسب والأليق بكل مقام Context، وقد يرد لفظ (الأرض) للدلالة على مسميات مختلفة كالكوكب أو غلافه الصخري السطحي أو البلد؛ أو حتى التربة والغبار كما في التعبير: ﴿بَقَرَةٌ لَا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ﴾ (البقرة: ٧١)، ومن تفوته القرائن قد يحمل لفظ (الأرض) على وجه غير لائق بالمقام، والمعلوم حاليا أن الجبال امتدادات سطحية بالغلاف الصخري المقسم إلى قطع متجاورات تسمى الألواح القارية Tectonic Plates، وتقوم الجبال الممتدة عميقا بتثبيت تلك الألواح فوق تيارات الباطن كما تفعل أوتاد الخيمة بعد أن كانت تميد وتضطرب عند بداية تكونها، وما أشبه الجبال إذن بالرواسي الصخرية التي استخدمت قديما لتثبيت السفن الطافية فوق تيارات المحيط دونها، وفي قوله تعالى: ﴿وَأَلْقَىٰ فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ النحل: ١٥؛ الأليق بالمقام حمل لفظ (الأرض) على قطَع الغلاف الصخري للكوكب المسمى قشرة الأرض Crust، فتتجلى للقرآن معجزة لإنبائه بغيب، ومع تثنية النبأ تتأكد المعجزة وتتأيد دلالة لفظ (الأرض) على قطَع الغلاف الصخري لا الكوكب في قوله تعالى: ﴿أَمَّن جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ﴾ (النمل: ٦١)، وقوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا﴾ غافر: ٦٤، وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا. وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾ (النبأ: ٦-٧)، وتكفي قرينة وصف الأرض بمهاد الصبي كفراش مبسوط فوق الأرض يحميه مما هو دونه من أخطار لتؤيد دلالة لفظ (الأرض) على الطبقة السطحية وتدفع توهم الدلالة على ثبات الكوكب.

ووفق علم الفلك Astronomy الأرض كروية تدور حول نفسها ويدور القمر حولها وتدور معه حول الشمس في فلك Orbit يخصها، وتدور الشمس بالمثل ومعها الأرض وبقية التوابع حول مركز

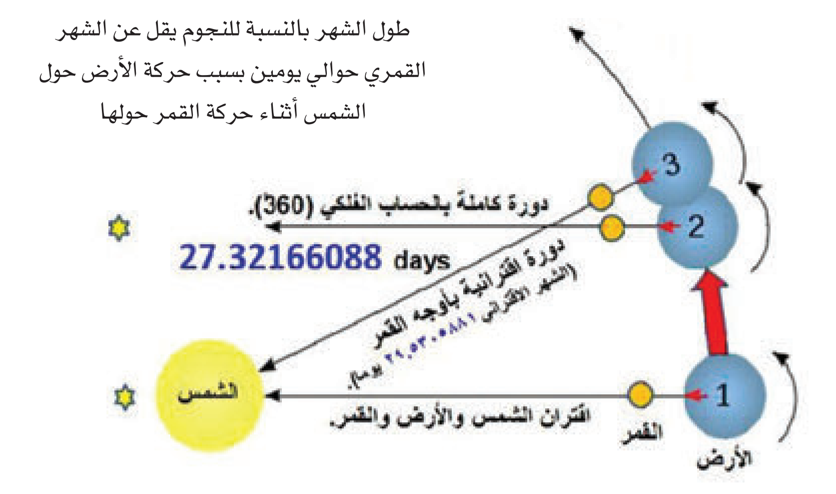


استخدمت قديما رواسي حجرية تمتد عميقا لتثبيت السفن الطافية على السطح فوق تيارات المحيط، فما أشبهها بامتدادات جذور الجبال لتثبيت الألواح القارية الطافية على السطح فوق تيارات الباطن

المجرة، وهكذا كل جرم في الكون يدور في فلك مُقَدَّر السرعة والأجل يخصه فلا تتعارض الأفلاك؛ فما لنا نحسب الأرض ساكنة؛ لأننا نعتلي ظهر دابة تمر بنا يوميا وسنويا فتبدو لنا معالمها ساكنة، ووفق علم الفيزياء Physics حركة كل الأجرام نسبية؛ ووفق ما يبدو بالنظر نحسب كل حشود النجوم ثوابت وهي على الحقيقة متحركة، وكذلك الأرض؛ فلا يُعاين حركتها حول الشمس إلا مراقب خارج النظام الشمسي، وما توصل إليه علم الفلك بعد جهود مضنية لقرون إنما هو قائم على استنتاج لا مُعاينة، إنه حقيقة النظام لا المشهد المرصود.

وفي القرآن الكريم قد وُصفت النجوم بالنسبة للبشر بالثبات حتى أنها اتخذت معالم سماوية لبيان الموضع والاتجاه كمعالم الأرض في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ (الأنعام: ٩٧)، وقوله تعالى: ﴿وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ. وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ (النحل: ١٦)، وضمير الغيبة العائد إلى الناس (هُمْ) يجعل ثبات النجوم منسوباً لهم؛ أي وفق ما يشاهدون، وكذلك التعبير (لَكُمُ)، وقد يرد وصف الأجرام بالحركة مُجَرَّدًا من النسبة للبشر شاملا للنجوم على وجه الحقيقة بخلاف السائد من كونها ثوابت في النظر كما في قوله تعالى: ﴿وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ﴾ الأعراف: ٥٤؛ أي مسيرات بتقديره تعالى كل منها في فلك يخصه مقدر السرعة والمدة بلا صدام، قال ابن كثير: (النجوم الثوابت والسيارات في أرجاء السماوات.. كل منها يسير في فلكه الذي جعله الله تعالى فيه يسير بحركة مُقدرة لا يزيد عليها ولا ينقص منها)، وقوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى﴾ الرعد: ٢؛ يخلو كذلك من النسبة للبشر فهو على وجه الحقيقة لا ما يبدو بالنظر، ولم يُذْكَر سوى الشمس والقمر، ولكن التعبير (كُلٌّ يَجْري لأَجَل مُسَمًّى) مدَّ الوصف بالحركة المُقَدَّرَة ليشمل كل الأجرام في الكون، قال القاسمي: (التنوين في لفظ (كُلٌّ) عوض عن الإضافة (للأجرام)؛ والمعنى كل واحد.. في فلك خاص به يسبح بذاته)، وقال ابن عطية: (والشمس والقمر في ضمن ذكرهما ذكر الكواكب (والنجوم)، ولذلك قال (كل يجري لأجل مسمى)؛ أي كل ما هو في معنى الشمس والقمر من (المسخرات)... وقال ابن عباس..: قدر لكل منهما سيراً خاصاً.. بمقدار خاص من السرعة)، وقال الألوسي: (كُلٌّ يَجْرى) يسير في المنازل.. (لأجل مُّسَمًّى) أي وقت معين.. ليُتم دورته، وهو المروى عن ابن عباس، وقيل (كل يجري) لغاية ينقطع دونها سيره.. وهذا مراد مجاهد من تفسير الأجل المسمى بالدنيا...، والتفسير الحق ما رُوِىَ عن الحبر؛ وأما الثاني فلا يُناسب (مقام) التسخير والتدبير، وقال ابن عاشور: (المراد تعميم هذا الحكم للشمس والقمر وجميع الأجرام وهي حقيقة علمية سبق بها القرآن).

الشيخ ابن باز: الواجب على من لا علم لديه التوقف وعدم التصديق والتكذيب حتى يحصل له من المعلومات ما يقتضي ذلك



طول الشهر بالنسبة للنجوم يقل عن الشهر القمري حوالي يومين بسبب حركة الأرض حول الشمس أثناء حركة القمر حولها



وبالمثل في قوله تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا﴾ (الكهف: ٨٦)؛ ليس عند جرم الشمس قوم يقطنون ولا هو فعليًّا يغرب يوميًّا في عين؛ وإنما الوصف قائم على ما يبدو للناظر لأنه منسوب لذي القرنين في التعبير (وَجَدَهَا) و(وَوَجَدَ عِنْدَهَا)، يعني: وفق ما تراءى له عند شاطئ المحيط الغربي، وفي مقابل الحركة الظاهرية للشمس تلك ورد وصف حركتها الفعلية في فلك يخصها مُجَرَّدًا من النسبة للبشر، قال تعالى: ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ. وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ. لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ (يس: ٣٨-٤٠)، وحركة الشمس سريعة وُصِفَت بالجري بخلاف الحركة اليومية الظاهرية البطيئة التي لا يناسبها الوصف بالجري، قال الألوسي: (فيه دليل على أن الشمس متحركة.. على مركز آخر كما تتحرك الأرض عليها)، وأن: (للثوابت حركة)، ويفيض الوصف بتقدير الحركة، ففي التعبير: ﴿وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ﴾؛ تصريح بأن للقمر فلك يقطعه بالنسبة لمنازله النجومية من هلال بداية الشهر حتى هلال آخره حيث يعود كهيئة عود الشمروخ الجاف الأصفر المقوس حامل التمر في النخيل، وبالفعل دورة القمر بالنسبة للنجوم تقل عن الشهر القمري فترة المحاق وتبلغ حوالي ٢٧ يوما وثلث وتسمى بالشهر النجمي Sidereal month، وزيادة الشهر القمري تُفَسَّر فلكيًّا بتحرك القمر مع الأرض حول الشمس أثناء حركته حولها، وفي التعبير: ﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ﴾؛ دلالة على أن القمر أسرع، وهو كذلك بالفعل لأنه يزيد بحركته حول الأرض وحركته معها حول الشمس.

وفي التعبير: ﴿وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾؛ نفي سبق الليل للنهار كجهتين للأرض يستقيم مع دوام حركتها هي في مدارها، وتقديم الليل في مقام الحركة يعني أن الحركة جهته أسرع، وفلكيًّا جهة الليل بالفعل أسرع لأن سرعة الأرض حول نفسها في نفس اتجاه سرعتها حول الشمس فتضم إليها؛ بينما تُخصم جهة النهار، وفي قوله تعالى: ﴿يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ﴾ الأعراف: ٥٤؛ لا توجد نسبة للبشر فهو قائم على الحقيقة لا ما يبدو للناظر من الأرض، وجعل الليل ولازمه الظلام فوق طبقة النهار ليعم الفضاء حقيقة علمية، ووصف النهار بالحركة الحثيثة العاجلة ليحل محله على الدوام ظلام الفضاء يستقيم مع حركة الكوكب في مداره، قال جوهري: (أرضنا (إذن) دائرة غير دائرة نحن نراها ساكنة ولكنها دائرة لا تهدأ»، (ومن جملة سيارات شمسنا هذه الأرض التي نحن عليها والقمر ملتزم بها ويدور عليها ومعها على الشمس»، إذن: (دوران الأرض حول الشمس ليس غير مخالف للقرآن فحسب؛ بل له منه دلائل».

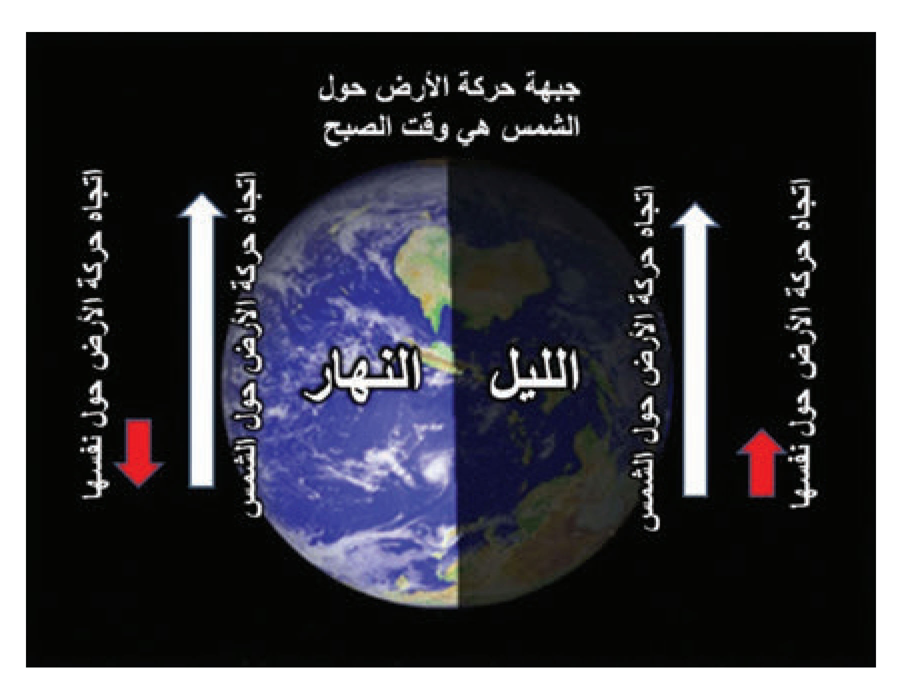
ويلاحظ المراقب تزايد الشهب في الكثرة والسرعة بعد منتصف الليل لتبلغ الدرجة القصوى فترة الصبح باعتبارها جبهة الأرض خلال مسارها في مدارها حول الشمس، وهي نفس الفترة التي

اختارها القرآن الكريم لبيان أقصى شدة للارتطام والدمار بالأحجار النيزكية، قال تعالى: ﴿إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ. فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ. مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾ هود: ٨١-٨٣.

وقال تعالى: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ. فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ﴾ الحجر: ٧٣و٧٤، وبالفعل يكون الارتطام على أشده عندما تواجه الأرض النيزك بجبهتها فترة الشروق خلال حركتها في مدارها حول الشمس مضيفة سرعتها نحوه إلى سرعته نحوها؛ بخلاف الجهة المقابلة فترة الغروب حيث تُخصم سرعتها من سرعته فتقل قوة الارتطام.

فما أشبه كوكب الأرض إذن بدابة يمتطي الناس ظهرها فتمضي بهم ليمرون على المعالم حولهم؛ فتبدو لهم المعالم السماوية مارة من الشرق إلى الغرب والأرض ساكنة، والحقيقة أنهم هم الذين يمرون على المعالم السماوية كما يمر راكب الدابة على معالم الأرض؛ أليس هذا هو المضمون في قوله تعالى:

﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾ يوسف: ١٠٥، فهم الذين يمرون على المعالم السماوية وهم على ظهر الأرض بيانا لحركتها اليومية والسنوية كما يمرون على معالم الأرض وهم على ظهر المركوبات ولا يعتبرون ببديع الصنع ووحدة التصميم والتقدير، ووصف الحركة الفعلية مجرد من النسبة



للبشر؛ وجاء التعبير عن حركة الأرض بمرور من على سطحها كشهود على دلائل القدرة ووحدة التقدير، قال الألوسي: (الآية في السماوات.. أي.. من الأجرام الفلكية)، وقال ابن كثير: (ما زُينت به من.. الثوابت والسيارات)، وفي الميزان: (لو حُمل قوله (يَمُرُّونَ) على التصريح دون الكناية كان من الدليل على.. حركة الأرض.. فإنا نحن المارون على الأجرام السماوية بحركة الأرض (اليومية والسنوية)..؛ (بعكس) ما يُخيل إلينا في ظاهر الحس».

وكما رأيت وفق ما كشفه العلم حديثا مُفَسِّرًا ومُؤَيِّدًا للقرآن الكريم؛ في الكون نظام يوحد حركة الأجرام يستحيل أن تخالفه الأرض فتخرج على القانون وتخرق وحدة التقدير، فهي مسخرة ولا تملك لنفسها خيارًا؛ ولذا حركتها ضمن حشود الأجرام في الكون ليشملها نفس التصميم Design شهادةٌ تعلنها كسواها على وحدانية المبدع القدير، وأما كشف خفايا التكوين في تعبير وصفي دقيق وعميق يعتمد التمثيل الفني بالمضامين؛ فيتجاوز أفاق المعارف زمن التنزيل ليشهد للكتاب الكريم جازمًا بالوحي.

المراجع العربية:

١. الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم المتوفى سنة ٤٧٥هـ، في ظلال القرآن لسيد قطب المتوفى سنة ١٣٨٦ هـ، خواطر الشيخ محمد متولي الشعراوي المتوفى سنة ١٤١٩هـ، مجموع فتاوى سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز المتوفى سنة ١٤٢٠ هـ، لقاءات الباب المفتوح لفضيلة الشيخ محمد بن العثيمين المتوفى سنة ٢٠٠١ م، أضواء البيان لمحمد الأمين الشنقيطي المتوفى سنة ١٣٩٣هـ، مجموع فتاوى ورسائل ابن تيمية المتوفى سنة ٧٢٨ هـ، تفسير ابن كثير المتوفى سنة ٧٧٤ هـ، تفسير القاسمي المتوفى سنة ١٣٣٢ هـ، المحرر الوجيز لابن عطية المتوفى سنة ٥٤١هـ، تفسير شهاب الدين الألوسي المتوفى سنة ١٢٧٠ هـ، تفسير ابن عاشور المتوفى سنة ١٣٩٣هـ، الجواهر لطنطاوي جوهري المتوفى سنة ١٣٥٨ هـ، الميزان للسيد محمد حسين المتوفى سنة ١٤٠٢ هـ.

English References:

1. Encyclopedia Britannica, Oxford encyclopedia, Encarta encyclopedia, wikipedia encyclopedia.



القرآن الكريم.. معين العلوم الكونية

د. محمد جميل الحبال*

ان الناظر في كتب السلف من المفسرين رحمهم الله يجد أن آيات العلوم الطبية والكونية لم تنل ما تستحقه من عنايتهم بالقياس إلى آيات الأحكام الفقهية، وهم معذورون في ذلك لعدم توافر الوسائل والتقنيات العلمية الحديثة لديهم والموجودة في هذا العصر، والتي أصبح من الممكن حاليا الإفادة منها وصولا إلى الهدف المذكور.

إن القرآن العظيم كنز للعلوم والمعرفة، ومَعين لا ينضب يهدي العلماء ـ كلاً حسب اختصاصه الدقيق ـ إلى أبحاث جديدة، ويحقق في حالة توظيف إشاراته العلمية بصورة صحيحة (إذا أحسن فهمها ودراستها بدقة) لخدمة المعرفة والتقدم العلمي في الحاضر والمستقبل، وصولا لخير البشرية وسعادتها وتحقيقا لمبدأ الاستخلاف (التسخير) لها في الأرض كما جاء في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السماوات وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ (لقمان:٢٠).

* استشاري باطنية وباحث في الإعجاز الطبي والعلمي
في القرآن الكريم والسنة المطهرة
مستشفى الملك فهد التخصصي - الدمام - المملكة العربية السعودية

فالقرآن الكريم كما أنه يهدي إلى العقيدة الصحيحة، وإلى الشعائر الخالصة، والشرائع القويمة، والأخلاق الفاضلة، فهو يهدي أيضاً إلى الحقائق الكونية في كافة الآفاق، ويعطينا الخطوط العريضة، والإشارات الأساس في هذه العلوم. قال تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ (الإسراء: ٩).

فعن عبدالله بن مسعود (رضي الله عنه) انه قال: (من أراد العلم فليثوّر القرآن ! فإنّ فيه علم الأولين والآخرين).

ويقول الإمام السيوطي في كتابه (الإتقان في علوم القرآن): (إن كتاب الله العزيز قد اشتمل على كل شيء. أما أنواع العلوم فليس منها باب ولا مسالة هي أصل إلا وفي القرآن ما يدل عليها).

ويقول الإمام الزركشي في كتابه (البرهان في علوم القرآن): (من كان حظه في العلوم أوفر، كان نصيبه في علوم القرآن أكثر).

فينبغي علينا توظيف الإشارات الطبية والعلمية الواردة في الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية، ونقلها من الجانب النظري إلى الجانب التطبيقي العملي (من الإعجاز إلى الانجاز ومن التوصيف إلى التوظيف!!).

الناصية تتخذ فيها القرارات وتصنع فيها الأفكار

والإفادة من معطيات العلم والطب الحديثين والتكنولوجيا المتطورة لتحقيق ذلك، وتحقيق السبق العلمي في القرآن والسنة اللذين جاءا لهداية البشرية وسعادتها في كافة المجالات، ومنها تشجيع العلم والبحث العلمي.

إن المتدبر للقرآن قد يستنبط منه أمورا لم يصل إليها العلم التجريبي بعد، فيأخذها المسلم من القرآن الكريم، ويبني عليها البحوث والدراسات التجريبية، ويسبق الناس إلى كشوف علمية جديدة قد تكون في غاية الأهمية والفائدة للبشرية والنصر للأمة الإسلامية! قال سبحانه وتعالى: ﴿بِآيَاتِنَا أَنتُمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ﴾ (القصص: ٣٥)

فأعظم أسباب النصر هو أن يكون بأيدي المؤمنين آيات الله القوي العزيز، ينتفعون منها بحسب عنايتهم بها واتباعهم لها.

ولذلك لم يكن غريبا ان الله سبحانه وتعالى قال في القرآن المكي: ﴿وَجَاهِدْهُم بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا﴾ (الفرقان:٥٢).

أي بالقرآن، وقيل بالإسلام وروحه القرآن أيضاً.. فقد كان بيد موسى وأخيه هارون عليهما السلام من الآيات ما يفعل الأعاجيب ويقلب الموازين كالعصا مثلا، غير إن العصا مخلوقة وإعجازها من خارجها، كما أن إعجازها انقضى بموت موسى عليه السلام.

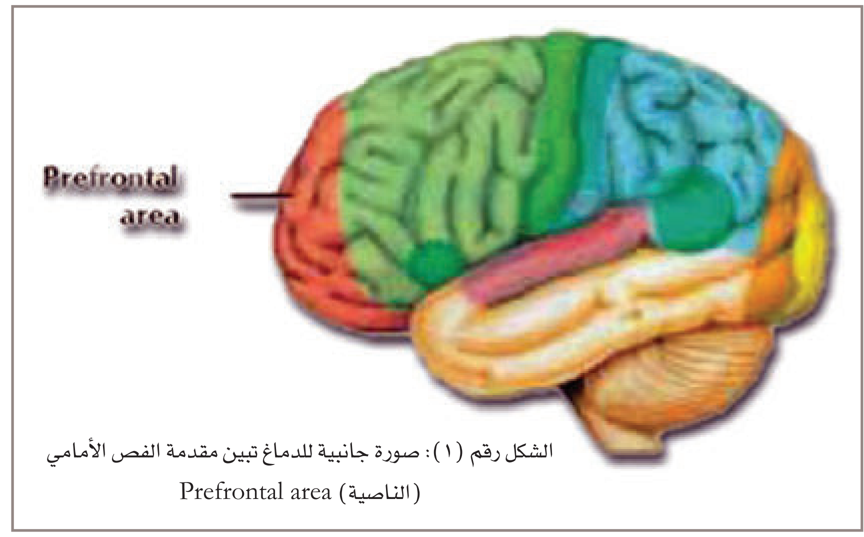
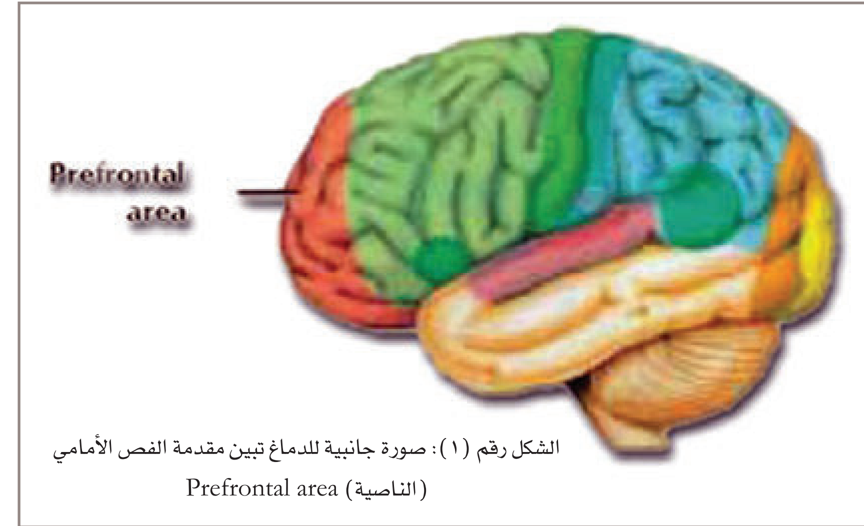
وأما القرآن فإنه كلام الله تعالى وإعجازه في ذاته، كما أن معجزاته لم تنقطع بموت النبي ﷺ بل حفظها الله تعالى للمسلمين إلى قيام الساعة. ولكن المسلم يحتاج إلى تدبر وبحث ومجاهدة بحيث ان الإعجاز المكنون في الآيات يظهر جليا على أيدي المسلمين.

ولنضرب مثلا لتوضيح المقصود وذلك في قوله عز وجل: ﴿كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ، نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ﴾ (العلق: ١٥-١٦)

السفع لغة: هو القبض على الشيء وجذبه بشدة كما ذكره المفسرون. وأما الناصية فمقدمة الرأس كما ذكر الفراء رحمه الله تعالى، وهو لفظ يدل بأصله على علو في الشيء كما يفهم من الشواهد في اللغة العربية. والمتوقع في العربية أن الشيء الذي يوصف بالكذب هو الإنسان بجملته أو كلامه أو كتابته أو فعله. وكذلك الخطيئة هي وصف للنفس أو الفعل.

وأما أجزاء الجسد كالناصية أو الكتف أو الذراع أو الفخذ وغيرها فهل يوصف بعضها حقيقة بالكذب والخطيئة! أم هو مجازا؟. والمجاز له طرق منها: إطلاق



الشكل رقم (١): صورة جانبية للدماغ تبين مقدمة الفص الأمامي (الناصية) Prefrontal area

اسم البعض على الكل، فقالوا: الوصف بالكذب والخطيئة ليس للناصية نفسها ولكن لصاحبها[١]!.. ويحتج المفسرون بان المجاز وجه لتفسير الآية، لأن القرآن الكريم خاطب العرب بما يمكن تأويله حسب ما عندهم من العلم، واستعملوا المجاز مع قرنيه لفظية أو دلالة حال أو أدلة عقل[٢]، ويمكن التعبير بالناصية أو الوجه عن الإنسان بجملته في نحو هذا السياق لأن الناصية أرفع شيء في الإنسان[٣].

وقد ذكر العلماء أمثلة كثيرة يطلق فيها اسم الجزء ولكن المراد هو الكل كقوله تعالى: ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾ (المجادلة: ٣) فعبر بالرقبة على الإنسان لوجود مناسبة تلائم هذا التعبير في قضية التحرير.

غير أن الحقيقة هي ظاهر اللفظ والمجاز خروج عن الظاهر فلا يصار إليه إلا لقرينه حين يكون الحمل على الحقيقة ممتنعا أو متعذرا كما هو معروف في أصول الفقه.

القرآن فيه إشارات علمية ويهدي إلى أبحاث جديدة

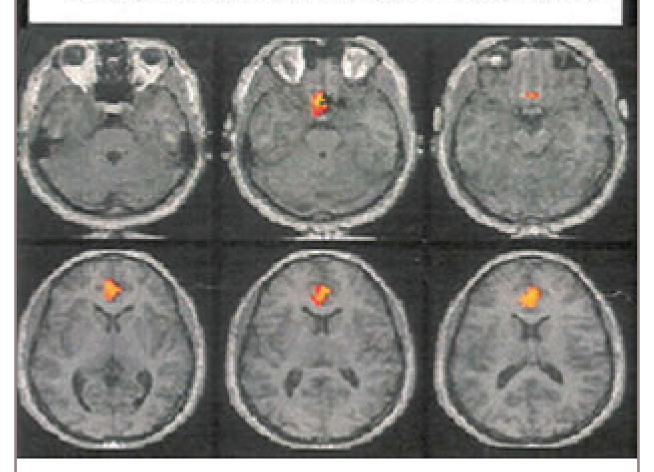
والحقيقة التي لا يشك فيها الأطباء اليوم هي أن الناصية تضم مقدمة الفص الأمامي للدماغ (Prefrontal area) وهو الجزء الذي تتخذ فيه القرارات وتصنع فيه الأفكار من صدق وكذب وخطيئة وغير ذلك، كما في الشكل رقم (١).

أما اللسان واليد والرجل فمجرد أدوات تتحرك بما تم صنعه وتقريره في ذلك الجزء من الدماغ. فلاشك أن الناصية أولى من اللسان بأن توصف بأنها كاذبة وكذلك الأمر في وصفها بأنها خاطئة. وقد تم اكتشاف ذلك في الطب بعد بحوث تجريبية ودراسات كثيرة عن وظائف الدماغ منها التصوير بالرنين المغناطيسي الوظيفي (MRI-f). فعندما يمارس الشخص الكذب يؤشر ذلك واضحا في هذه المنطقة الأمامية من الدماغ. كما يظهر ذلك في الشكل رقم (٢) أدناه.

علما أن الأطباء في الغرب لم يكن عندهم إشارات دينية تفتح لهم بداية البحث،



(١) انظر: تفسير الطبري ٣/٢٥٥
(٢) ميزان الأصول ص ٣٧٢
(٣) انظر: تفسير روح المعاني للألوسي ٣٠/٣٣٥



الشكل رقم (٢): مقاطع من الدماغ تظهر مركز الكذب في مقدمة الفص الامامي (الناصية) باللون البرتقالي عندما يبدأ الشخص الكذب وتشخيصه بالتصوير الرنين المغناطيسي الوظيفي MRI-f

وإنما توصلوا إلى ذلك باعتمادهم على النظر العقلي والتجربة باستعمال التقنيات الحديثة!

ولم ينظر الأطباء المسلمون سابقا إلى احتمال وجود حكمة مكنونة في وصف الناصية بالكذب والخطيئة، وليس الذراع والفخذ، واحتمال انه وصف حقيقي دعت إليه تلك الحكمة.

لو نظروا هذا النظر لكانوا أسبق من غيرهم إلى الكشف عن وظائف الدماغ. فالذي حصل كما في هذا المثال، وكثير من أمثاله، هو أنه بعد أن تظهر الكشوف العلمية في الغرب غير المسلم يقول المسلمون إن تلك الكشوف قد أشار إليها القران الكريم قبل أكثر من أربعة عشر قرناً"!! وهذا وجه من الإعجاز بلا شك! ولكن الاقتصار عليه يعد في رأينا تخلفا في دراسة القرآن! فالمطلوب من الباحث المسلم أن ينظر في القرآن الكريم كمفتاح للسبق إلى كشوف جديدة، وأن ينظر في آيات العلوم الكونية كما نظر الفقهاء الأوائل في آيات الأحكام الفقهية.

فإنهم جاءوا بكل وجه محتمل في تفسير الآية الواحدة، واحتجوا لكل وجه بما يمكن من حجج، واستعانوا بأدلة النقل والعقل لتغليب أصح الوجوه، بحيث أن الفقيه يعجب اليوم بما تركه الأوائل رحمهم الله من بحوث واسعة في تفسير كل آية من آيات الأحكام. وآيات القرآن العظيم في الطب والفلك وسائر العلوم لابد أن يمثل يؤيد هذا النظر بل تقطع بصحته كما قال تعالى: ﴿ وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون﴾ (العنكبوت: ٤٣)، يقول المفسر الرازي: (يعني هو ضرب للناس أمثالاً وحقيقتها وما منها من فوائد بأسرها فلا يدرسها إلا العلماء) تفسير الرازي ٧١/١٣. قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى بَل لِّلَّهِ الأَمْرُ جَمِيعًا أَفَلَمْ يَيْأَسِ الَّذِينَ آمَنُواْ أَن لَّوْ يَشَاء اللَّهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعًا وَلاَ يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُواْ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُواْ قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لاَ يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾ (الرعد: ٣١)

إن هذه الآية الكريمة تثير الناظر وتحركه للبحث في هذه الحقائق العلمية حيث أن القرآن كنز للعلوم ويهدي للتي هي أقوم.

إذن يمكننا إيجاز الأهداف من تفسير الآيات والأحاديث الكونية بالأهداف الثلاثة الآتية:

١. خدمة القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة في مجال العلوم الطبية والكونية من خلال التفسير العلمي.
٢. إمكانية الاستفادة من العلوم الموجودة في القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة وتوظيفها لفائدة البشرية.
٣. الدعوة إلى الله وكتابه المجيد عن طريق العلم.

وأما عن وسائل تحقيق تلك الأهداف فيمكننا إجمالها بما يلي: إتقان اللغة العربية كونها لغة القرآن ولغة العلم (اللغة الكونية) وتسهيل تعلمها وإتقانها للمسلمين من العرب وغيرهم وبالوسائل المناسبة لمتطلبات العصر قال تعالى:

﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (يوسف: ٢)

الإحاطة والإلمام بالعلوم الكونية والتجريبية بكافة تخصصاتها العلمية، ومحاولة الحصول على كافة التقنيات ووسائل المعارف الحديثة ـ الإفادة من الإمكانيات المتاحة في الجامعات والمعاهد والمؤسسات العلمية ومراكز الأبحاث لتحقيق الأهداف المذكورة أعلاه ـ تأسيس مراكز أبحاث خاصة بموضوعات الإعجاز الطبي والعلمي في القرآن والسنة والتي تعنى بالنواحي المعملية والتطبيقية ـ تدريس مادة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة في المدارس والجامعات (حسب تخصصاتها) وتشجيع الدراسات العليا (الماجستير والدكتوراه) في تناول موضوعاتها.



أمة الإبداع والريادة



بكري بن معتوق عساس
مدير جامعة أم القرى

اسمحوا لي أن أعود بكم ثمانمائة سنة للوراء، إلى القرن السادس الهجري لأخبركم عن أول (روبوت) عرفته البشرية، ففي كتابه: (الجامع بين العلم والعمل) ذكر أبو العز إسماعيل بن الرزاز الجزري أن الخليفة طلب منه أن يصنع له آلة تغنيه عن الخدم كلما رغب في الوضوء للصلاة، فصنع له الجزري آلة على هيئة غلام منتصب القامة، وفي يده إبريق ماء، وفي اليد الأخرى منشفة، وعلى عمامته يقف طائر، فإذا حان وقت الصلاة يصفر الطائر، ثم يتقدم الخادم نحو سيده، ويصب الماء من الإبريق بمقدار معين، فإذا انتهى من وضوئه يقدم له المنشفة، ثم يعود إلى مكانه، والعصفور يغرد.

لم يكن هذا الإبداع العلمي حالة فريدة في حضارتنا المسلمة، بل كان سمة غالبة تقابل سمة التفوق الروحي الإيماني، فعلماء حضارتنا الزاهرة حققوا الكثير من الإنجازات، فهم أول من فصل الذهب عن الفضة، وأول من عمل الجليد الصناعي، وأول من اكتشف سرعة الضوء، وأول من صنع الكاميرا، وأول من وضع جداول اللوغاريتمات الحديثة، وأول من اخترع الصفر، وأول من استخدم الإبرة المغناطيسية في الملاحة، وأول من صنع الورق الفاخر الجيد، وأول من صنع الزجاج.. إلى عشرات بل مئات بل آلاف من هذه الأوليات العلمية والاختراعات والكشوفات المتكاثرة.

هذه الحضارة الفذة هي التي أخرجت البيروني، والرازي، وابن النفيس، وابن البيطار، والزهراوي، وابن زهر، والإدريسي، وابن قرة، وغيرهم ممن تركوا في سجلات الريادة العلمية بصمات لا تنسى.

وقد كانت مزية هذه الحضارة المسلمة أنها أعلت البنيان، وأغلت الإنسان ومزجت بين الجسد والروح، وزاوجت بين ضربة الكف وخفقة القلب، فنجت حضارة الإسلام من جفاف الروح وموت القيم وبوار الأخلاق.

كما كان من مزيتها أنها أعطت الإبداع والإتقان مساحة واسعة في أدبياتها، وما ظنكم بحضارة يقول نبيها المصطفى صلى الله عليه وسلم (إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه)... حقاً إنها أمة الإبداع والريادة.